منهج القرآن

في بناء شخصية الفتاة المسلمة

من خلال قصة ابنتي الرجل الصالح

إعداد الدكتور

محمد رمضان أبو بكر محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم هداية ونوراً ، وجعل فيه ما يصلح حال عباده، ويهديهم إلى السعادة والفوز في الدنيا والآخرة ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد ،

فإن من أعظم أهداف القرآن الكريم بناء الإنسان على الصورة المثلى التي يستحق بها أن يكون مستخلفاً عن الله ﷻ مكرماً على جميع المخلوقات يؤدي مهمته في الحياة الدنيا كما أمره خالقه ، ويفوز بالثواب العظيم في الآخرة على قيامه بهذه المهمة .

ومن أجل عملية بناء الإنسان نزلت آيات الأحكام لتأمره بما فيه صلاحه وسعادته، وتنهاه عما فيه شقاوته وتعاسته ، وجاءت آيات الوعد والوعيد لكى تبشره بالثواب العظيم فيتشجع على الاستقامة ويداوم عليها ، وتنذره بالعذاب الأليم فيبتعد عن المعاصي والخطايا ويحذر منها. ولم يكتف المولى –تبارك وتعالى– في كتابه بهذين النوعين من الآيات القرآنية بل قص على الإنسان في القرآن الكريم قصصاً عن أحوال الصالحين وسماتهم وأفعالهم؛ ليتخذهم قدوة ونموذجاً يهتدي بهم، ويسير على منوالهم ، وقص عليه قصص الضالين والهالكين ليجتنب أفعالهم ويحذر اتباعهم .

ومن هنا كانت ضرورة البحث والكتابة ، وسبر أغوار بناء الإنسان من خلال أحكام القرآن ووعده ووعيده وقصصه.

وقد اخترت أن أقف مع قصص القرآن لأتناول من خلاله محوراً من محاور صناعة الإنسان وبنائه في القرآن الكريم متمثلاً في شخصية المرأة المسلمة ، وليست المرأة من جميع جوانب حياتها ، وإنما من خلال نموذج قرآني واحد ، وهو نموذج ابنتي الرجل الصالح اللتين قصّ الله ﷻ علينا قصتهما في سورة القصص ، ومن ثم جاء عنوان هذا البحث على النحو الآتي :

" منهج القرآن في بناء شخصية الفتاة المسلمة من خلال قصة ابنتي الرجل الصالح في سورة القصص "

أهمية الموضوع

تنبع أهمية دراسة هذا الموضوع – من وجهة نظري– من عدة أمور تتمثل فيما يأتي :

١– كونه جزءاً من أجزاء صناعة الشخصية المسلمة من خلال التدبر في آيات القرآن الكريم .

٢– بناء الشخصية وصناعتها أهم عناصر بناء الحضارة وريادتها وتقدمها ، فما بالنا لو كانت هذه الصناعة نابعة من أعظم وأصدق كتاب إلهي على وجه الأرض (القرآن الكريم) الذي يتحدث فيه خالق الإنسان عما يصلحه ويسعده، ويهيئه للشهود الحضاري على جميع الأمم .

٣– المرأة لها الدور الأكبر في صناعة الحضارات ؛ لكونها شريكة الرجل في بنائها ، وتربي وتعد الرجل الذي يبنيها ، ومن هنا تعاظم دورها ، وبناء شخصية المرأة على المنهج القرآني هو بناء لها وللأجيال القادمة.

٤– حاجة الأمة –رجالاً ونساء– في هذا العصر، وفي كل عصر إلى العودة إلى كتاب ربها؛ لكي تنهل من معينه، وتتربى على مائدته، وتصوغ شخصيتها وحياتها من خلال التدبر في آياته وتطبيق أحكامه؛ لتتبوأ المكانة الرائدة التي شرفها الله ﷻ بها.

هدف البحث

يهدف البحث إلى الوقوف على ملامح بناء الشخصية المستقيمة للفتاة المسلمة كما تقدمه قصة ابنتي الرجل الصالح في سورة القصص، وذلك من خلال الإجابة على سؤال مفاده : ما الصورة المثلى للفتاة المسلمة كما قدمتها ابنتي الرجل الصالح ؟ وكيف يمكن إفادة الفتاة المسلمة منها في هذا العصر ؟

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الاستنباطي[1] والذي يحاول الباحث من خلاله استنباط ملامح شخصية ابنتي الرجل الصالح كما توضحها آيات سورة القصص ، واستنباط الدروس المستفادة منها لتقديمها للفتاة المسلمة في هذا العصر .

طريقة البحث :

١- تدبر الآيات الكريمات من سورة القصص ومعايشتها ؛ لاستنباط ملامح شخصية ابنتي الرجل الصالح .

٢- صياغة ملامح شخصية هاتين الفتاتين في عناصر محددة للوصول من خلالها إلى جوانب بناء شخصية الفتاة المسلمة.

٣- تقديم الدروس المستفادة من هذا المنهج للفتاة المسلمة اليوم ، مع توضيح كيفية أخذها به في واقعنا المعاصر.

خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة على النحو الآتي :

المقدمة وتشتمل على أهمية الموضوع ، والهدف منه ، ومنهج البحث فيه ، طريقة البحث ،وخطته .

التمهيد ويشتمل على: : إطلالة على قصة ابنتي الرجل الصالح مع موسى عليه السلام .

المبحث الأول : بناء شخصية الفتاة المسلمة من الناحية الأخلاقية كما توضحه الآيات وتحته مطلبان:

المطلب الأول : الصورة الخلقية لابنتي الرجل الصالح كما ترسمها الآيات.

المطلب الثاني : الدروس المستفادة من أخلاق ابنتي الرجل الصالح .

المبحث الثاني : بناء شخصية الفتاة المسلمة من الناحية الاجتماعية كما توضحه الآيات وتحته مطالبان :

المطلب الأول : الجانب الاجتماعي في شخصية ابنتي الرجل الصالح .

المطلب الثاني : : الدروس المستفادة من الجانب الاجتماعي لدى ابنتي الرجل الصالح

المبحث الثالث : بناء شخصية الفتاة المسلمة من الناحية الاقتصادية كما توضحه الآيات وتحته مطلبان :

المطلب الأول : الجانب الاقتصادي في شخصية ابنتي الرجل الصالح

المطلب الثاني : : الدروس المستفادة من الجانب الاقتصادي لدى ابنتي الرجل الصالح.

الخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

---

(١) منهج الاستنباط هو : الذي يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة لاستنتاج أحكام منها. (البحث العلمي د/ عبد العزيز الربيعة ص ١٧٨ بدون مطبعة الرياض ط ٣ ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)

وبعد .. فقد شجعني على خوض غمار هذا المجال الكبير : **صناعة الإنسان من خلال القرآن** حبي للقرآن الكريم أولاً ، ومبادرة الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم بعقد مؤتمرها الأول تحت عنوان : **" تدبر القرآن الكريم وأثره في حياة الأمة "** ثانياً، مع يقيني أني لست أهلاً لخوض هذا الغمار ، ولكن حسبي أني أحاول وأجتهد قدر طاقتي ، وأحب الماهر بالقرآن القادر على السباحة والغوص في معانيه وأسراره السابقين منهم واللاحقين ، وأسأل الله ﷻ أن يلحقني بالمخلصين منهم وإن لم أعمل بعملهم .﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾** ﴾ البقرة: ٢٨٦

التمهيد

إطلالة على قصة ابنتي الرجل الصالح مع موسى عليه السلام

خرج موسى عليه السلام من مصر مطارداً وحيداً خائفاً من تتبع فرعون وجيشه له بعد أن قتل المصري عن طريق الخطأ ، وبعد أن انتشرت هذه الحادثة في ، وصار البحث عنه حثيثاً ليقدم إلى الملأ والرؤساء من قوم فرعون؛ ليصدروا عليه حكماً مسبقاً قد تمالئوا عليه، واتفقوا على إنفاذه وهو الحكم بقتله، والانتقام منه بعد أن عُرف بين أهل البلاد بأنه نصير الضعفاء والمساكين ، والمصلح الذي يحاول أن يغير الفساد الذي نشره فرعون وملؤه قي طول البلاد وعرضها ، ولاشك أن التغيير والإصلاح الذي كان يسعى اليه موسى في مصر سيقضي على سلطة الملأ والرؤساء والوزراء الذين يعيثون في الأرض فساداً ، وسيزلزل عرش الطاغية الأكبر فرعون ، وربما يجعل الناس تثور عليه، وتخرج عن سلطته وقبضته.

ومن ثم جدَّ الملأ بتدبير من فرعون نفسه في البحث عن موسى عليه السلام، وتتبع أثره ليقبضوا عليه ويقتلوه، وكان موسى عليه السلام في هذا الوقت قد جدَّ –أيضاً– في الخروج من مصر كلها، بعد أن جاءه رجل صالح ينصحه بذلك، وكان هَمُّ موسى عليه السلام وشغله الشاغل في ذلك الوقت النجاة من هؤلاء الظالمين ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾** ﴾ القصص: ٢١

" ووصفهم بالظلم ؛ لأنهم مشركون، ولأنهم راموا قتله قصاصاً عن قتل خطأ، وذلك ظلم لأن الخطأ في القتل لا يقتضي الجزاء بالقتل في نظر العقل والشرع ." (١)

لكن موسى عليه السلام لا يدري أين سيتوجه ؟ ولا أين سيستقر به المطاف ؟

قال ابن كثير –رحمه الله– : " يخبر تعالى عن خروج عبده ورسوله وكليمه من مصر خائفا يترقب أي يتلفت خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون وهو لا يدري أين يتوجه ولا إلى أين يذهب وذلك لأنه لم يخرج من مصر قبلها . قال ابن عباس : خرج موسى ولا علم له بالطريق إلا حسن ظن بربه ." (٢)

وهنا يلهم الله ﷻ عبده موسى عليه السلام أن يولي وجهه وقلبه نحو ربه خاشعاً متضرعاً طالباً منه الهداية والتوفيق { رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }، فينجيه الله ﷻ بقدرته، ويوفقه أن يسلك طريق الوصول إلى السلامة والنجاة.

---

(١) التحرير والتنوير . الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٢٠/ ٩٦.

(٢) البداية والنهاية ١/ ٢٨٠.

هدى الله ﷻ عبده موسى لأن يسلك الطريق الموصلة إلى مدين، ولم يكن له علم بها من قبل، ولذا عبر القرآن الكريم بقوله { وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ } ولو كان قاصداً للذهاب إلى مدين لقال ﷻ : ولما توجه إلى مدين، فلما لم يقل ذلك. بل قال (تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ) علمنا أنه لم يتوجه إلا إلى ذلك الجانب من غير أن يعلم أن ذلك الجانب إلى أين ينتهي ، وقوله (عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ) وهذا كلام شاك لا عالم . (١)

ومدين مدينة تقع على الأطراف الشمالية للجزيرة العربية ، ومن ثم فهي تبعد عن مصر بمسافات طويلة قدر بعض العلماء تلك المسافة بثمانمائة وخمسين ميلاً تقريباً . وإذ قد كان موسى في سيره ذلك راجلاً فتلك المسافة تستدعي من المدة نحواً من خمسة وأربعين يوماً . وكان يبيت في البرية لا محالة . (٢)

وانتهى بموسى عليه السلام المطاف عند مدينة مدين، ومن عادة الغريب خاصة ممن لايحمل معه ماءً أن يقصد موضع الماء؛ لذا توجه موسى عليه السلام إلى البئر الذي يستقي منه أهل مدين، فصادف وقت سقي الرعاة لمواشيهم وأنعامهم، فرأى الرعاة يتزاحمون على الماء، وهناك بعيد عنهم امرأتان تحبسان أغنامهما وأنعامهما من الوصول إلى الماء، وتنتظران بعيداً في ناحية من هذا الزحام.

قال ﷻ : ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ** ﴾ القصص: ٢٣ وهنا تشتعل في نفس موسى جذوة الإصلاح الذي كان يسعى نحوه في مصر، فيحاول أن يصلح هذا المشهد الخارج عن اللياقة والكرم فيتوجه نحو المرأتين سائلاً لهما عن حالهما ؟ ولماذا يطيلان الوقوف هكذا ؟ قائلاً {ما خطبكما} وهذا السؤال من موسى عليه السلام سؤال يحمل في طياته معنى التهويل من شانهما .

قال ابن عطية –رحمه الله– : " **أي ما** أمركما وشأنكما ، وكان استعمال السؤال بالخطب إنما هو في مصاب أو مضطهد أو من يشفق عليه أو يأتي بمنكر من الأمر فكأنه بالجملة في شر." (٣)

وهذا يشير إلى كثرة الرعاة ، وأن انتظار المرأتين سيطول ربما لساعات ، وقد تغيب الشمس دون أن يسقيا ، وربما لا يبقى لهم في الحوض إلا النذر اليسير .

ويأتي الجواب من المرأتين مبيناً أن هذا الأمر عادة لهما في كونهما لا يزاحمان الرعاة على الماء بل ينتظران بعيداً ، ويدفعان دوابهما ويحبسانها عن الاختلاط بدواب الرعاة حتى ينتهوا من سقي مواشيهم؛ لئلا يختلطا بالرجال ويتدافعوا معهم ﴿ **قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ** ﴾ القصص: ٢٣ ، ثم استنبطتا ما الذي سيسأل عنه موسى ، وهو : ألا يوجد عندكم من الرجال ما يكفيكم هذا الأمر فأفصحتا عن الجواب مباشرة فقالتا { وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ } تعنيان أن الرجل الذي كان يكفينا هذا الأمر قد بلغ به السن مبلغاً لا يستطيع معه القيام بهذا العمل لهرمه وضعفه .

وهنا دار خلاف بين المفسرين والمؤرخين عن هذا الأب من هو ؟

هل هو نبي الله شعيب عليه السلام بدليل أنه الذي أرسل إلى مدين، أم أنه رجل صالح من نسل نبي الله شعيب، أو من مدينته ؟

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٤/ ٥٩٣ ط . دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ .

(٢) التحرير والتنوير . ٩٨/٢٠ مرجع سابق

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٢٨٣ ط. دار الكتب العلمية – لبنان –ط. أولى ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م

رأيان مشهوران في كتب التفسير ، والراجح منهما ما انتهى إليه شيخ المفسرين الإمام الطبري – رحمه الله- حين قال : " وهذا مما لا يُدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه. [(١)] (أي أنه رجل صالح)

وقد أيد هذا الرأي الإمام ابن تيمية –رحمه الله- بحجج قوية ثم قال : " فمن جزم بأنه شعيب النبي فقد قال ما ليس له به علم، وما لم ينقل عن النبي ﷺ ، ولا عن الصحابة، ولا عمن يحتج بقوله من علماء المسلمين ، وخالف في ذلك ما ثبت عن ابن عباس والحسن البصري، مع مخالفته –أيضاً- لأهل الكتابين فإنهم متفقون على أنه ليس هو شعيب النبي ، فإن ما في التوراة والإنجيل أن اسمه يثرون، وليس لشعيب النبي عندهم ذكر في التوراة ." [(٢)]

نعود إلى نبي الله موسى عليه السلام لندركه وهو واقف أمام الفتاتين – لم يرفع بصره إليهما – ليأخذ أغنامهما ودوابهما إلى الماء ليسقيها لهما، وفي كيفية سقي موسى عليه السلام لهما عدة آراء بين المفسرين على النحو الآتي :

١- يحتمل أن موسى عليه السلام زاحم الرعاة على البئر حتى سقى لهما .

٢- ويحتمل أنه انتظر حتى فرغ الرعاة من على الماء ، وجاء البئر فوجد الرعاة قد وضعوا على فمه صخرة عظيمة لا يرفعها إلا عدد كبير من الرجال قيل عشرة وقيل أربعون ، وقيل أقل من ذلك أو أكثر ، فرفع موسى عليه السلام الصخرة وحده ثم سقى لهما.

٣- ويحتمل أنه سألهما عن بئر أخرى غير تلك البئر التي يتزاحم عليها الرعاء، فأرشداه إلى بئر مغطاة بصخرة عظيمة فرفعها موسى وحده فسقى لهما .

٤- ويحتمل أن موسى عليه السلام سأل القوم أن يسمحوا له بالسقي للمرأتين فسمحوا.

والقرآن الكريم سكت عن كيفية سقي موسى ؛ لكونه لا يتعلق به كبير فائدة كما يقول الرازي – رحمه الله- " وليس بيان ذلك في القرآن، والله أعلم بالصحيح منه. لكن المرأة وصفت موسى عليه السلام بالقوة، فدل ذلك على أنها شاهدت منه ما يدل على فضل قوته ." [(٣)] ، ولأجل ذلك يضعف الاحتمال الأخير ، وتبقى الاحتمالات الثلاث الأول قوية .

رجعت الفتاتان بأغنامهما ومواشيهما إلى أبيهما ، وآوى موسى عليه السلام إلى ظل شجرة؛ ليأنس بربه عز وجل متضرعاً إليه شاكياً له حاله من التعب والخوف والجوع فقال ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ القصص: ٢٤ وموسى عليه السلام هنا يدعو ربه بخيري الدنيا والآخرة ، لذا اختلف المفسرون في تفسير كلمة خير فحملها أكثرهم على الطعام وأوردوا في هذا حديث أخرجه ابن مردويه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : " لما سقى موسى للجاريتين ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير قال : انه يومئذ فقير إلى كف من تمر " [(٤)]

قال الألوسي : "وجوز أن تكون اللام للتعليل، وما موصولة، ومن للبيان والتنكير في خير لإفادة النوع والتعظيم، وصلة فقير مقدرة أي: إني فقير إلى الطعام، أو من الدنيا لأجل الذي أنزلته إلى من خير الدين، وهو النجاة من الظالمين، فقد كان عليه السلام عند فرعون في ملك وثروة، وليس الغرض منه التعريض لما يطعمه، ولا التشكي والتضجر. بل إظهار التبجح والشكر على ذلك

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ١٩/ ٥٦٢ . مرجع سابق .

(٢) جامع الرسائل –رسالة في قصة شعيب- للإمام ابن تيمية ٦٣/١ ط. دار العطاء – الرياض . ط. أولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

(٣) مفاتيح الغيب ٢٤/ ٥٩٦ .مرجع سابق .

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ٤٥٢/١١ ط . دار هجر بمصر ط . أولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

... وأنت تعلم أن هذا خلاف المأثور الذي عليه الجمهور ، ومثله في ذلك ما روي عن الحسن أنه عليه السلام سأل الزيادة في العلم والحكمة، ولا يخلو أيضا عن بعد"[١]

وقال عطاء بن السائب : "بلغني أن موسى عليه السلام رفع صوته بهذا الدعاء ليسمع المرأتين "[٢]، وأرى أن هذا لا يليق بحال نبي الله موسى عليه السلام ، فهو يتوجه بهذا الدعاء إلى الله جل جلاله لا إلى المخلوقين .

قال الرازي : " قلنا أما رفع الصوت بذلك لإسماع المرأتين وطلب الطعام فذاك لا يليق بموسى عليه السلام ألبتة، فلا تقبل تلك الرواية ، ولكن لعله عليه السلام قال ذلك في نفسه مع ربه تعالى." [٣]

وينتقل القرآن الكريم بنا إلى مشهد آخر وهو مجيء إحدى الفتاتين إلى موسى عليه السلام وهو جالس في الظل ، وبين هذا المشهد والمشهد سابق مشهد آخر لا يهتم القرآن بذكره لكونه معروفاً ومفهوماً من السياق .

قال ابن عطية : " في هذا الموضع اختصار يدل عليه الظاهر قدره ابن إسحاق : فذهبتا إلى أبيهما سريعتين وكانت عادتهما الإبطاء في السقي، فحدثتاه بما كان من أمر الرجل الذي سقى لهما، فأمر الكبرى من بنتيه –وقيل الصغرى– أن تدعوه له فجاءت على ما في هذه الآية ." [٤]

﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ ﴾ القصص: ٢٥ وهنا يصف القرآن الكريم حال الفتاة عند مجيئها إلى نبي الله موسى عليه السلام ، ويفصل لنا قولها له ، وذلك لدروس كثيرة سنعرض لها في هذا البحث – بمشيئة الله تعالى– .

جاءت الفتاة تمشي بكامل حيائها، لتبلغ موسى عليه السلام رسالة أبيها بأنه يدعوه ليكافئه على معروفه معهما بالسقي لهما ، ويفرط بعض المفسرين أمثال الرازي والزمخشري في إيراد إشكالات كثيرة لا داعي لها، ثم يتكلفون الإجابة عليها مثل : كيف عمل موسى بخبر الفتاة ؟ ، وكيف جاز للوالد أن يرسل ابنته وحدها إلى شاب غريب ؟ ، وكيف مشى موسى مع امرأة أجنبية ؟ وكيف جاز له أن يقبل أن يذهب لأخذ الأجر الدنيوي على فعل الخير ؟ ونحو ذلك من الأسئلة .

وكأني بهؤلاء المفسرين قد عاينوا موقع بيت الرجل الصالح، وموقع الشجرة التي كان موسى عليه السلام يجلس عندها ، وعاينوا أيضاً صفة الطريق هل كان عامراً بالمارة أم خالياً تماماً ، ونحو ذلك حتى يوردوا هذه الإشكالات !!!

وهذا كله يتنافى في النهاية مع وضوح القرآن وبساطته، فموسى عليه السلام استقبل دعوة الشيخ بصدر رحب، وربما كان دافعه من إجابتها التعرف عليه والنزول عنده؛ ليسأله عن كيفية المعيشة في هذه البلدة، وما الأعمال التي يمكن أن يعملها بها ، وكان الطريق عامراً بالمارة .

وفي طريق موسى عليه السلام إلى الشيخ الكبير تذكر الروايات أن الرياح كانت تهب على ثياب المرأة فتلصقها بجسدها، فربما أظهرت بعض مفاتنها، فقال لها موسى عليه السلام : امشي خلفي وانعتي لي الطريق . واستدلوا على ذلك بوصف المرأة لموسى عليه السلام بالأمانة.

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٠/ ٦٤ ط. دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ .

(٢)جامع البيان في تأويل القرآن ١٩/ ٥٥٧ مرجع سابق .

(٣) مفاتيح الغيب ٥٩٦/٢٤مرجع سابق .

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٣٣٥ مرجع سابق .

قال عمر، وابن عباس، وشُريح القاضي، وأبو مالك، وقتادة، ومحمد بن إسحاق، وغير واحد: لما قالت: { إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأمِينُ } قال لها أبوها: وما علمك بذلك؟ قالت: إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال، وإنه لما جئت معه تقدمتُ أمامهُ، فقال لي: كوني من ورائي، فإذا اجتنبت الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق؛ لأهتدّى إليه." (١)

والأمانة قد تعلم بغير هذه الحادثة من كون موسى عليه السلام لم يصوب بصره نحوهما عند البئر، ولم يكثر من الحديث معهما ونحو ذلك . فإن صحت الرواية السابقة فتضاف إلى مقومات الأمانة التي لاحظتها الفتاة على موسى عليه السلام، وإن لم تصح فوصفها له بالأمانة لأدبه وخلقه معهما حين سقى لهما .

"عن مجاهد رضي الله عنه في قوله القوي قال : قوته فتح لهما عن بئر حجرا على فيها فسقى لهما الأمين قال : غض بصره عنهما حين سقى لهما." (٢)

يقول صاحب الظلال : " ولا حاجة لكل ما رواه المفسرون من دلائل قوة موسى عليه السلام كرفع الحجر الذي يغطي البئر، وكان لا يرفعه فيما قالوا إلا عشرون أو أربعون أو أكثر أو أقل. فالبئر لم يكن مغطى، إنما كان الرعاء يسقون فنحاهم، وسقى للمرأتين، أو سقى لهما مع الرعاء . ولا حاجة كذلك لما رووه عن دلائل أمانته من قوله للفتاة : امشي خلفي ودليني على الطريق خوف أن يراها. أو أنه قال لها هذا بعد أن مشى خلفها فرفع الهواء ثوبها عن كعبها. فهذا كله تكلف لا داعي له، ودفع لريبة لا وجود لها. وموسى عليه السلام عفيف النظر نظيف الحس، وهي كذلك، والعفة والأمانة لا تحتاجان لكل هذا التكلف عند لقاء رجل وامرأة . فالعفة تتضح في التصرف العادي البسيط بلا تكلف ولا اصطناع! " (٣)

وصل موسى عليه السلام إلى بيت الرجل الصالح فاستقبله أحسن استقبال ، وقام بتضييفه وإكرامه ، وآنسه بسؤاله عن قصته وحاله فأخبره موسى عليه السلام بما كان من أمره من وقت تربيته في بيت فرعون حتى خروجه من مصر بعد أن قتل المصري خطأً ، وتآمُر الملأ عليه ليقتلوه ، فطمأنه الرجل الصالح قائلاً له : لا تخف فقد نجاك الله – تعالى- من هؤلاء الظالمين يعني من فرعون وقومه .

قال عز وجل :﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ القصص: ٢٥

وإنما قال له ذلك ؛ لأنه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (٤)

وهنا نلاحظ أن الله عز وجل استجاب دعاء عبده موسى عليه السلام حين قال {رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}فجاءته البشارة من الرجل الصالح أن الله عز وجل استجاب دعاءه وأنجاه منهم بهدايته له إلى مدين البعيدة عن سلطان فرعون وملأه . وتطابقت كلمات الرجل الصالح مع دعاء موسى تمام المطابقة {رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} {لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}وهذا دليل على صلاح هذا الرجل وصلته بالله عز وجل ،وإرهاص بنبوة موسى عليه السلام قبل أن تأتيه النبوة والرسالة من الله عز وجل.

وهنا ينتقل بنا القرآن الكريم إلى مشهد يجمع بين الرجل الصالح وإحدى الفتاتين اللتين كانتا على السقي ، ولعلها – أيضاً- هي الداعية لموسى الحاملة لرسالة أبيها إليه .

---

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ، ٤٥٢/١٠ ط . مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع الطبعة : الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م

(٢)الدر المنثور ٤٥٥/١١ مرجع سابق .

(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٤٢٠ ط/ دار الشروق ط / الحادية عشرة ١٩٨٥م .

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٥/ ١٧٠ ط . دار الفكر – بيروت / لبنان – ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م .

يقول الله ﷻ ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص: ٢٦

تعني بقولها: استأجره ليرعى عليك ماشيتك. (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأمِينُ) تقول: إن خير من تستأجره للرعي القويّ على حفظ ماشيتك والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها، الأمين الذي لا تخاف خيانته، فيما تأمنه عليه. (١)

أي: إن موسى أولى من استؤجر، فإنه جمع القوة والأمانة، وخير أجير استؤجر من جمعهما، أي: القوة والقدرة على ما استؤجر عليه، والأمانة فيه بعدم الخيانة." (٢)

وعلى عادة كثير من المفسرين يذكرون خلافاً عمن قالت هذا القول : هل هي الكبرى أم الصغرى ؟ وما اسمهما ؟ وليس في القرآن دلالة على شيء من هذه التفاصيل.فالأولى ألا يهتم بها ، إنما استنبط بعض المفسرين من قول الرجل الصالح لموسى عليه السلام (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ) على أن الرجل كانت لدية بنات أخر غيرهما؛ لذا أشار لهما بقوله (هاتين)

قال صديق خان : "(هاتين) يدل على أنه كان له غيرهما وقد قال البقاعي: إن له سبع بنات كما في التوراة." (٣)

فلما سمع أبوها قولها توجه إلى موسى عليه السلام ؛ ليعرض عليه الزواج من إحدى البنتين مقابل أن يعمل عنده لمدة ثمان سنوات، أو عشر.

قال ﷻ : ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ القصص: ٢٧ فهل شعر أبوها برغبتها من الزواج منه ؟ أم أن الرجل الصالح أراد أن يوجد سبباً شرعياً لإقامة موسى عليه السلام عنده ؟ أم أنه هو نفسه قد رغب في مصاهرته لما عرف من كرامة نسبة وطهارة منبته وحسن أخلاقه ؟ كل هذه الاحتمالات جميعاً جائزة ، ولا يوجد بينها تعارض .

و معنى الآية : "أريدُ أن أنكِحَكَ إحدى ابنتيَّ هاتين على أن تكون أجيراً لي ثمانِ سنين قال الفراء : أي تجعل ثوابي من تزويجها أنْ ترعى غنمي ثماني حجج ، تقول العرب : أَجَرَكَ اللَّه بأجْرِكَ ، أي : أثابك والحِجَج : السِّنُون ، واحدها حجَّة .(فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً) أي : عشر سنين " فَمِنْ عِنْدِك " أي : ذلك تفضل منك وتبرع ليس بواجب عليك .{ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ } أي: ألزمك تمام العشر إلا أن تتبرعُ { سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ } قال عمر رضي الله عنه: يعني: في حسن الصحبة والوفاء بما قلت. "(٤) ، "وقيل: أراد الصلاح على العموم فيدخل صلاح المعاملة في تلك الإجارة تحت الآية دخولا أولياً، وقيد ذلك بالمشيئة تفويضا للأمر إلى توفيق الله ومعونته ." (٥)

وقول الرجل الصالح : { سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ من الصالحين } دلالة على أنه كان من المؤمنين الذين يفوضون أمورهم إلى الله – تعالى – ويرجون توفيقه ومعونته على الخير .

وأقف هنا لأبين أمراً قد دار حوله خلاف كبير بين الفقهاء حول مهر البنت أين هو في الآية ؟ هل هو منفعة الإجارة ؟ وهل تصح أن تكون الإجارة مهراً ؟ ، ولا يسع المقام بسط الآراء في ذلك ، إنما أنقل ما اطمئن إليه القلب من هذه الآراء ، وهو ما

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ١٩/ ٥٦٢ مرجع سابق .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي (ص: ٦١٤) ط . مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن ١٠/ ١٠٩ ط. المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر– بَيروت : ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

(٤) معالم التنزيل للإمام البغوي ٦/ ٢٠٣ ط دار طيبة للنشر والتوزيع — الرياض ١٤١١هـ .

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني ٤/ ٢٤١ ط/ دار الفكر بيروت د . ت ..

ذكره القاضي أبوبكر بن العربي –رحمه الله– حين قال : "قال القاضي : صالح مدين زوج ابنته من صالح بني إسرائيل ، وشرط عليه خدمته في غنمه ؛ ولا يجوز أن يكون صداق فلانة خدمة فلان ، ولكن الخدمة لها عوض معلوم عندهم استقر في ذمة صالح مدين لصالح بني إسرائيل ، وجعله صداقا لابنته . وهذا ظاهر ." (١)

وجاء رد موسى عليه السلام على هذا العرض الكريم من الرجل الصالح واضحاً ومحدداً خاصة أن المقام مقام معاملة مالية تحتاج إلى الصراحة والواضحة كما تحتاج إلى الحزم والحسم فقال –كما حكى القرآن الكريم– ﴿ **قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** ﴿٢٨﴾ ﴾ القصص: ٢٨

أي : (قَالَ) موسى لأبي المرأتين(ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ) أي هذا الذي قلتَ من أنك تزوّجني إحدى ابنتيك على أن آجرك ثماني حجَج، واجب بيني وبينك، على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه.

وقوله:(أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ) يقول: أيّ الأجلين من الثماني الحجج والعشر الحجَج قضيت، يقول: فرغت منها فوفيتكها رعي غنمك وماشيتك(فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ) يقول: فليس لك أن تعتدي عليّ، فتطالبني بأكثر منه ...(وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) يقول: والله على ما أوجب كلّ واحد منا لصاحبه على نفسه بهذا القول، شهيد وحفيظ." (٢)

ويعلق صاحب الظلال على هذا الوضوح في رد موسى عليه السلام على عرض الرجل الصالح بقوله :" إن مواضع العقد وشروط التعاقد لا مجال للغموض فيها ، ولا اللعثمة ، ولا الحياء . ومن ثم يقر موسى العرض ، ويبرم العقد ، على ما عرض الشيخ من الشروط . ثم يقرر هذا ويوضحه : { أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ } . . سواء قضيت ثماني سنوات أو أتممت عشراً ، فلا عدوان في تكاليف العمل ، ولا عدوان في تحتيم العشر؛ فالزيادة على الثمانية اختيار..﴿ **وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** ﴿٢٨﴾ ﴾. فهو الشهيد الموكل بالعدل بين المتعاقدين . وكفى بالله وكيلاً .

بين موسى عليه السلام هذا البيان تمشياً مع استقامة فطرته ، ووضوح شخصيته ، وتوفية بواجب المتعاقدين في الدقة والوضوح والبيان . وهو ينوي أن يوفي بأفضل الأجلين كما فعل ." (٣)

واختلف المفسرون في من القائل لهذه الجمله : ﴿ **وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** ﴿٢٨﴾ ﴾ قال ابن اسحاق : القائل هو الرجل الصالح. (٤)

والظاهر أنها من قول موسى عليه السلام تماماً لكلامه السابق .

قال الشوكاني : ﴿ **وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ** ﴿٢٨﴾ ﴾ أي على ما نقول من هذه الشروط الجارية بيننا شاهد وحفيظ، فلا سبيل لأحدنا إلى الخروج عن شيء من ذلك. قيل هو من قول موسى عليه السلام، وقيل من قول شعيب عليه السلام (الرجل الصالح). والأول أولى لوقوعه في جملة كلام موسى عليه السلام" (٥)

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/٤٩٩ ط. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

(٢)جامع البيان في تأويل القرآن ١٩/ ٥٦٥-٥٦٧ . بتصرف.

(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٤٢٢ مرجع سابق .

(٤)جامع البيان في تأويل القرآن ١٩/ ٥٦٦.مرجع سابق .

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٤/ ٢٤١)

وهنا يقف المفسرون – خاصة من يهتم بآيات الأحكام – عند هاتين الآيتين ليستخرجوا منهما بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالإجارة والنكاح ، وبيان ما يتوافق منها مع الشريعة الإسلامية وما يخالفها ، وليس المقام مناسباً لبسط الحديث في هذا ، ومن أراد أن يراجع ذلك فعليه بكتاب أحكام القرآن لابن العربي ففيه الغناء – إن شاء الله تعالى– .

قضى موسى عليه السلام أكمل الأجلين وأوفاهما كما صح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : قضى أوفاهما وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل ، ويروى هذا مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ . [1]

ثم طلب موسى عليه السلام من الرجل الصالح أن يأخذ زوجته وأهله ؛ ليعود بهم إلى مصر حيث أمه وأخوه وعشيرته من بني إسرائيل ، وليقوم بالمهمة التي أعده الله عز وجل من أجلها مهمة النبوة والرسالة وإنقاذ بني إسرائيل من فرعون وجبروته .

نقف عند هذا الحد مع قصة نبي الله موسى عليه السلام حيث إن هذا الجزء من حياته هو محل حديثنا في هذا البحث –بمشيئة الله تعالى–

(1) أثر ابن عباس أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات ، باب من أمر بإنجاز الوعد ٢/ ٩٥٣ ط. دار ابن كثير اليمامة – بيروت ط الثالثة ١٤٠٧/ ١٩٨٧م والحديث المرفوع رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير الحاكم بن أبان وهو ثقة ، ورواه البزار وفيه إسحاق بن إدريس وهو متروك ، ورواه الطبراني في الصغير والأوسط أطول من هذا وإسناده حسن (انظر مجمع الزوائد للهيثمي ١٩٩/٧– ٢٠١ ط. دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ) وقال الشيخ الألباني : صحيح (الجامع الصغير وزيادته ص: ٥٩١ ط المكتب الإسلامي)

المبحث الأول

بناء شخصية الفتاة المسلمة من الناحية الأخلاقية كما توضحه الآيات .

المطلب الأول : الصورة الخلقية لابنتي الرجل الصالح كما ترسمها الآيات

قدمت لنا آيات سورة القصص صورة مختصرة لأخلاق الفتاة المسلمة التي يريدها الإسلام من خلال قصة ابنتي الرجل الصالح مع نبي الله موسى ، هذه الصورة الخلقية تشكلت معالمها من عدة أخلاق في غاية الأهمية لكل فتاة مسلمة في أي عصر من العصور . ولكي نقف على هذه الصورة الخلقية بمعالمها التفصيلية نتدبر الألفاظ والعبارات القرآنية الواردة عنهما؛ لنستشف بعض الأخلاق المنطوية تحت كل لفظة وعبارة ، وذلك على النحو الآتي :

المعلم الخلقي الأول : الحياء

يعد الحياء المعلم الرئيس والخلق البارز في شخصية ابنتي الرجل الصالح ، لذا جاء النص عليه في الآيات الكريمات صراحة وضمناً ، أو بالمنطوق والمفهوم كما يعبر الأصوليون – ، وقد ظهر الحياء في أخلاق الفتاتين طوال أحداث القصة :

١- فمع أول ذكر لهما قال ﷻ عنهما { ووجد من دونهم امرأتين تذودان } فكلمة " تذودان " من الذود ومعناه : السوق والطرد والدفع(١)، فالمرأتان كانتا تمنعان ما تسقيانه من الغنم والماشية عن الاختلاط بأغنام ودواب الرعاة ، أو تمنعانها عن ورود الماء في ظل زحام الرعاة عليه، وقيل : تدفعان أبصار الرعاة عنهما بتنحيهما بعيداً عنهم .

قال الزمخشري–رحمه الله–: "وإنما كانتا تذودان ؛ لأنّ على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي . وقيل : كانتا تكرهان المزاحمة على الماء . وقيل : لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم ، وقيل : تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما " (٢)

والعلة في هذا الذود المتكرر كل يوم منهما هو ما فُطِرا ورُبيا عليه من الحياء . كما يقول الطاهر بن عاشور : " وصدهما عن المزاحمة عادتهما لأنهما كانتا ذواتي مروءة وتربية زكية ." (٣)

٢- ثم يظهر الحياء مرة ثانية في قولهما ﴿ لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ القصص: ٢٣

قال الألوسي –رحمه الله– : " أي : عادتنا أن لا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم بعد ريها عن الماء عجزا عن مساجلتهم لا أنا لا نسقي اليوم إلى تلك الغاية... وقيل : ليس في الكلام ما يدل على ضعفهما بل فيه أمارات على حيائهما وسترهما ولو أرادتا إظهار العجز لقالتا لا نقدر على السقي... ولعل الأولى أن يقال : إنهما أرادتا إظهار العجز عن المساجلة للضعف ولما جبلا عليه من الحياء والكلام وإن لم يكن فيه ما يدل على ضعفهما فيه ما يشير اليه لمن له قلب ويفهم من بيان معنى جوابهما المار آنفا." (٤)

وأقول : ليس في الكلام ما يدل على ضعفهما –كما ادعى الألوسي– إلا إذا أراد بالضعف الضعف الأنثوي العام ، بل إن النص القرآني يشير إلى حيائهما كما قيل في الرأي الثاني ولو كان المراد الضعف لقالتا : لا نقدر على السقي حتى يصدر الرعاء

(١) القاموس المحيط ١/٢٩٠ ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٤/٤٩٠ ط. مكتبة العبيكان بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

(٣) التحرير والتنوير . ٢٠/ ١٠٠ مرجع سابق .

(٤) روح المعاني ٢٠/ ٦١ مرجع سابق .

. ولأن الضعف لن يمنعهما من السقي، فقد يحاولان فينجحان بتعب ومجهود شديد خاصة وهما ثنتان، وإنما الذي منعهما هو كراهية المزاحمة والاختلاط بالرجال من أدبهما وحيائهما ، والله أعلم .

يقول الشيخ الخطيب : " ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي﴾ ولا نزاحم؛ لأن المزاحمة تقتضي الاختلاط بالرجال وملاحقتهم، وهو أمر ينقص من قدر المرأة، ويذهب بحيائها؛ بل ننتظر في مكاننا هذا البعيد عن الماء ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي حتى يرجع الرعاة بعد سقيهم . "(١)

٣- ويتجلى الحياء مرة ثالثة بوضوح في شخصية إحدى الفتاتين حين يعبر القرآن عن مشيتها بكونها في قمة الحياء قال ﷻ : ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ والاستحياء مبالغة في الحياء مثل الاستجابة.(٢)

والآية تصور لنا امرأة كلها حياء وعفة وحشمة ، والدليل على ذلك قوله تعالى :{ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ}، فذكر الفعل المضارع (تمشي) ليبني عليه قوله: {عَلَى اسْتِحْيَاءٍ}، وإلا ففعل (جاءته) مغن عن ذكر (تمشي) " أي جاءته ماشية كائنة على استحياء . فمعناه أنها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا ، لا عند المجيء فقط "(٣)

كأن القرآن يريد أن يقول لنا : إن الفتاة في حالة مشيها المعتاد تمشي على استحياء لا في هذا الموقف فقط ، فالحياء صفة لازمة لمشيها ، ولما جاءت إلى موسى كانت على حياء آخر في كونها ستكلم رجلاً أجنبياً ، فأصبح الحياء عندها في هذه الحالة مركباً من حيائين، أو حياءً فوق حياء : حياءُ مشيها ، وحياء خروجها من بيتها ومجيئها إلى موسى عليه السلام لتبليغه رسالة أبيها.

ولذا وصفها الفاروق عمر رضي الله عنه بقوله : ليست بسلْفَعٍ من النساء خَرَّاجة ولاجة، ولكن جاءت مستترة قد وضعت كُمَّ درعها على وجهها استحياء." (٤)

والسلفع من النساء: السَلِيطة الجَرِيئة، وقيل: هي القليلة اللحم السريعة المشي الرَّصْعاءُ، والسَّلْفَعةُ البَذيَّةُ الفَحَّاشةُ القَلِيلةُ الحَياءِ، ورجل سَلْفَعٌ قليل الحياء جَرِيءٌ –كما يقول ابن منظور–.(٥)

واستخدم القرآن الكريم لفظ (على) للاستعلاء المجازي مستعارة للتمكن من الوصف ، والمعنى أنها مستحية في مشيها ، أي : تمشي غير متبخترة ولا متثنية ، ولا مظهرة زينة ، ولكنها مبالغة في الحياء . (٦)

قال البقاعي –رحمه الله–: " ولما كان الحياء كأنه مركب لها وهي متمكنة منه ، مالكة لزمامه ، عبر بأداة الاستعلاء فقال : (على استحياء) أي: حياء موجود منها ؛ لأنها كلفت الإتيان إلى رجل أجنبي تكلمه وتماشيه ." (٧)

واستخدم القرآن الكريم – أيضاً– المصدر المزيد بأحرف الزيادة (استحياء) ، ولم يستخدم ألفاظاً أخرى مثل (تمشي على حياء) ، أو (تمشي على خجل) أما استخدام (حياء) فإن المصدر المزيد أبلغ في دلالته من المصدر العادي؛ لأن زيادة المباني

---

(١) أوضح التفاسير (١/ ٤٧١) للشيخ / محمد عبد اللطيف بن الخطيب ط: المطبعة المصرية ومكتبتها ط: السادسة ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤ م

(٢) التحرير والتنوير . ٢٠/ ١٠٣ مرجع سابق .

(٣) روح المعاني ٢٠/ ٦٤ مرجع سابق .

(٤) معالم التنزيل ٦/ ٢٠١ مرجع سابق .

(٥) لسان العرب ٨/ ١٦١ ط . دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى بدون تاريخ .

(٦) انظر التحرير والتنوير . ٢٠/ ١٠٣ مرجع سابق .

(٧) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ٢٦٨/١٤ ط . دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة . بدون تاريخ .

تدلّ على زيادة المعاني ، على ما قاله اللغويون ، فناسبت شدة الحياء أن يجاء لها بمصدر مزيد (استحياء) . أما الخجل فإنه أخص من الحياء الذي هو أعم ، فالخجل يكون من أمر معين ، أما الحياء فإنه خصلة في الذات ، وهو إحدى شعب الإيمان ، لذلك كان استخدام النكرة المصدرية المزيدة (استحياء) أبلغ من أي استخدام أخر . وإن استخدام صيغة (استفعل) تدلّ على الطلب فكأنها تريد أن تثير في مقابلها هذه الخصلة الشريفة . (١)

ومن ثم فالآية الكريمة وهي تصف ابنة الرجل الصالح بهذا الوصف تمثل قمة من قمم الإعجاز التصويري القرآني

يقول أ/ عبد السلام الراغب : " ثم يأتي المشهد الثالث، وفيه تصوير لإحداهن، جاءته تمشي على استحياء وهو جالس في الظلّ، إنه مشهد حي شاخص، مألوف، والصورة تلمس حركة الأنثى، كما تلمس انفعالها وحياءها تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ والفعل المضارع يحيي المشهد وكأنه حاضر، وترسم خطواتها البطيئة المعبرة عن حركة الحياء الداخلية حتى كأننا نراها في المشهد، وما هي عليه من الخفر والاستحياء." (٢)

٤- وكلامها مع موسى عليه السلام كان– أيضاً– بحياء أشد، والدليل على ذلك أن من القراء من يقف على قوله {تَمْشِي}، ثم يبتدىء {عَلَى استحياء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ} أي : إنها على استحياء قالت هذا القول ، لأن الكريم إذا دعا غيره إلى الضيافة يستحي لا سيما المرأة . (٣)

٥- والحياء يظهر –كذلك- في قولها: ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ فهو قول هادئ صريح ليس فيه التواء، أو زيادة، وفيه تركيز على أن الأب هو الذي يدعوه؛ لإعطائه أجر السقاية، وليس لشيء آخر .

يقول ابن عادل الدمشقي –رحمه الله- : " صرحت بهذا لئلا يوهم كلامها ريبة ، وهذا من تمام حيائها وصيانتها." (٤)

٦- وأخيراً يظهر حياؤها عندما أرادت أن تمدح موسى عليه السلام لما رأت فيه من قوة وأمانة فعممت الحكم، ولم تخصه به بل قالت كما حكى القرآن الكريم عنها : ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص: ٢٦

" فقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة أن تقول : استأجره لقوته وأمانته، ولعمري أن مثل هذا المدح من المرأة للرجل أجمل من المدح الخاص، وأبقى للحشمة، وخصوصاً إن كانت فهمت أن غرض أبيها أن يزوجها منه." (٥)

من خلال هذه الإشارات الست يتبين لنا ما كانت تنطوي عليه نفس هاتين الفتاتين من حياء شديد ، ولا شك أن هذا راجع إلى البيئة الطيبة والأسرة الصالحة اللتين نشأتا فيهما .

المعلم الخلقي الثاني : الفطانة وحسن التصرف

من أعظم نعم الله عز وجل على الإنسان نعمة العقل ، والإنسان العاقل البصير تظهر فطانته ونفاذ بصيرته وحسن تصرفه في المواقف التي يتعرض لها في حياته، والمرأة مثلها مثل الرجل في ذلك، فهناك من النساء من يتمتعن برجاحة العقل، وحسن التصرف في الأمور، وهناك من لا يعين ولا يدركن النافع من الضار من السلوكيات والأفعال، وبين هؤلاء وهؤلاء درجات متفاوتة

(١) انظر سورة القصص دراسة تحليلية د/ محمد مطني ص ١١١ بدون المطلعة .

(٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن ص٢٨٧ ط . فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب – سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٥/ ٢٣٩ ط. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة : الأولى - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م

(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٥) روح المعاني ٢٠/ ٦٦ مرجع سابق .

في الفطانة وحسن التصرف .وقد ضربت لنا ابنتا الرجل الصالح مثالاً على المرأة الفطنة اللبيبة حسنة التصرف فيما يعهد إليها من أمور ، ويظهر ذلك من خلال ما يأتي :

١- قوله –تعالى- ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ ﴾ فقد كانتا تذودان أغنامهما وماشيتهما عن أغنام الرعاة وماشيتهم ، أو تذودان أغنامهما عن الماء ، وكل هذا لئلا تختلط ماشيتهما بماشية الرعاة، فيقع التنازع والاضطراب بينهما وبين الرجال، ويؤدي هذا إلى مخالطتهم والاحتكاك بهم، وكل مالا يتفق مع تربيتهما وأخلاقهما . وفي هذا من حسن التصرف ما فيه .

٢- فهمهما ما كان يدور في نفس نبي الله موسى عليه السلام حين سألهما " ما خطبكما " " فقد كان الجواب عن سؤال موسى المعلن وهو سبب عدم السقي ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ ﴾. وأجابت عن سؤال مضمر في نفس موسى كأنهما أحستا أنه قد أخفاه من الأدب ، وهو لماذا لم يأت رَجل مكانهن ؟ فقالت : { وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ } ، أي : إنا مضطرات ، لأن والدنا كان في حالة عجز عن القيام بمهمة السقي ، ولا يوجد رجل يقوم مقامه ، لأن والدهن لم يكن لديه من يخلفه غيرهما." [1]وفي هذا من الفطانة والذكاء ما فيه.

٣- تعبيرها عن استدعاء والدها لموسى عليه السلام بقولها : ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ ﴾ ، فقد أسندت الدعوة إلى أبيها، وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة، وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى –كما يقول الألوسي-. [2]

٤- اغتنامها الفرصة عندما رأت الحوار الدافئ بين أبيها وموسى عليه السلام ، ومشورتها لأبيها بأن يستأجر موسى عليه السلام ليقوم برعي الأغنام والماشية لهم عوضاً عنها وعن أختها :{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ}

٥- فراستها في موسى عليه السلام حين طلبت من أبيها استئجاره . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرس في عُمَر، وصاحب يوسف حين قال: ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ ﴾ يوسف: ٢١ ، وصاحبة موسى حين قالت: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾. [3]

هكذا نرى الفطانة ورجاحة العقل متمثلة في ابنتي الرجل الصالح ، هذا الخلق الذي تحتاجه جميع النساء . بل والرجال – أيضاً- .

المعلم الخلقي الثالث : قوة الشخصية والشجاعة الأدبية

كفل الإسلام للرجال والنساء جميعاً حرية إبداء الرأي، والتعبير عما يجيش في النفس بشرط أن يكون ذلك بالطرق المشروعة، والآداب التي حددها الإسلام لذلك ، والدليل على ذلك من القصة التي معنا أنه على الرغم من أن صاحبتي القصة كان الحياء روحهما وريحانهما ، وامتلك عليهما مشاعرهما الباطنة وحركاتهما الظاهرة. إلاّ أن هذا الحياء لم يلعثم لسانهما عن قول الحق ، ولم يقيد فكرهما عن إبداء الرأي ، وهذا دليل على ما تحليا به من قوة الشخصية والشجاعة الأدبية ، ويظهر ذلك فيما يأتي :

---

(١) سورة القصص دراسة تحليلية ص ٣٢٨ مرجع سابق

(٢) روح المعاني ٢٠/ ٦٥ مرجع سابق

(٣) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٢٩ مرجع سابق .

١- إجابتهما لموسى عليه السلام حين سألهما – وهو رجل غريب لا يعرفانه – بإجابة واضحة فيها الغناء والوضوح ، مع الاعتذار عن حالهما ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) ﴾ قول إحداهما لموسى عليه السلام – وهو الرجل الأجنبي عنها – مبلغة رسالة أبيها : ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ يقول صاحب الظلال عن مجيء الفتاة إلى موسى عليه السلام : " جاءته لتنهي إليه دعوة في أقصر لفظ وأخصره وأدله ، يحكيه القرآن بقوله : { إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا } . فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح؛ لا التلجلج والتعثر والربكة . وذلك كذلك من إيحاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة . فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم ، ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب . الاضطراب الذي يطمع ويغري ويهيج ، إنما تتحدث في وضوح بالقدر المطلوب ، ولا تزيد ." (١) .

٢- تعبيرها عن رأيها في الاستفادة من هذا الرجل الغريب الذي ساقه الله عز وجل إليهم بأن يعمل أجيراً لدى والدها ، ومشورتها على أبيها بهذا الأمر بوضوح وصراحة ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) ﴾ أي :" قالت لأبيها بوضوح واستقامة قصد – شأن المرأة السليمة الفطرة النقية العرض القوية الشخصية – يا أبت استأجر هذا الرجل الغريب ليكفينا تعب الرعى ، ومشقة العمل خارج البيت ." (٢)

٣- رأى بعض المفسرين في إشارة الفتاة على أبيها باستئجار موسى عليه السلام تليمحاً برغبتها في الزواج منه ، ولعل مستندهم في ذلك أن الرجل الصالح عرض على موسى عليه السلام عقد نكاح يكون المهر فيه إجارته عنده .

يقول صاحب الظلال : " واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته . ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس موسى ثقة متبادلة ، وميلاً فطرياً سليماً ، صالحاً لبناء أسرة . والقوة والأمانة حين تجتمعان في رجل لا شك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة التي لم تفسد، ولم تلوث، ولم تنحرف عن فطرة الله . فجمع الرجل بين الغايتين وهو يعرض على موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه في مقابل أن يخدمه ويرعى ماشيته ثماني سنين . فإن زادها إلى عشر فهو تفضل منه لا يلزم به ." (٣)

وهذا كله من باب الاحتمال والظن ، فإن صدق ما قالوه من تلميح الفتاة لأبيها ، فهذا يضاف إلى دلائل فطنتها، ورجاحة عقلها ، وقوة شخصيتها وشجاعتها الأدبية .

المعلم الخلقي الرابع : الفصاحة وحسن البيان

من نعم الله عز وجل على الإنسان نعمة البيان تستوي في هذه النعمة النساء مع الرجال ، وقد كانت السيدة عائشة – رضي الله عنها – من أحفظ الناس للشعر ، وكانت فاطمة بنت قيس الأنصارية – رضي الله عنها – تلقب بخطيبة النساء ، وكانت الخنساء – رحمها الله– من شعراء العرب المعدودين .

وفي القصة التي معنا تميزت ابنتا الرجل الصالح بالفصاحة وحسن البيان ، وقد ظهر ذلك من خلال حديثهما مع موسى عليه السلام ، ومع أبيهما ، ودليل ذلك ما يأتي :

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٤١٩ مرجع سابق .

(٢) الوسيط لسيد طنطاوي ١٠/ ٢٩٩ .

(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٤٢١ مرجع سابق .

١- إيجازهما في التعبير حين سؤال موسى لهما عن حالهما، فقالتا بأوجز عبارة، مع إيفائها بالغرض ﴿ لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ والبلاغة الإيجاز كما يقولون

٢- مراعاة مقتضى الحال في تبليغ الفتاة رسالة أبيهما لموسى عليه السلام بأن أباها يطلبه فقالت الفتاة : ﴿ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ ﴾ ، فجاء كلامها مناسباً مع حديثها مع رجل اجنبي عنها يوضح المقصود من أقرب طريق .

يقول ابن عاشور – رحمه الله-: " وتأكيد الجملة في قوله (إن أبي يدعوك) حكاية لما في كلامها من تحقيق الخبر للاهتمام به وإدخال المسرة على المخبر به ...ويلاحظ – أيضاً- أنها بينت في كلامها سبب الدعوة لئلا يدخل في نفسه ريبة من هذه الدعوة ، وفي نفس الوقت مبادرة منها بالإكرام . (١)

٣- بلاغة كلامها وإطلاقها لحكمة صارت مثلاً يضرب على مر العصور في قولها ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ فقولها ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ كلام حكيم جامع لا يزاد عليه ، لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان ؛ أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك، فقد فرغ بالك وتم مرادك ، وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل، والحكمة أن تقول استأجره لقوّته وأمانته . "(٢) فيا لها من فتاة فصيحة بليغة !!!

٤- أنها قدمت في كلامها عن وصف موسى عليه السلام القوة على الأمانة ، مع أن الأمانة هي الأهم ؛ ليكون من باب الترقي من المهم إلى الأهم ، وهذا لون من ألوان البلاغة التي تمتع نفس السامع ، وتجذب عقله وانتباهه .

يقول الألوسي – رحمه الله-: " وقدمت وصف القوة ، مع أن أمانة الأجير لحفظ المال أهم في نظر المستأجر ؛ لتقدم علمها بقوته عليه السلام على علمها بأمانته، أو ليكون ذكر وصف الامانة بعده من باب الترقي من المهم إلى الأهم ." (٣)

المعلم الخلقي الخامس : بر الوالدين

من أكبر البراهين على حسن خلق المرء بره بوالديه ، ومن لم يكن ذا خلق حسن مع والديه، فلا ننتظر منه أن يحسن خلقه مع أي أحد من الناس ، ومن ثم أولى الإسلام بر الوالدين عناية فائقة ، وجعله في المرتبة الثانية بعد عبادة الله عز وجل . قال جل جلاله ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾

وفي القصة التي معنا نلحظ من أخلاق ابنتي الرجل الصالح برهما الشديد بأبيهما ، وذلك من خلال ما يأتي :

١- أنهما كفيا أباهما العمل في حال كبره ، وخرجا في عمل شاق وهو رعي الغنم والماشية عوضاً عن أبيهما نتيجة كبر سنه وضعف بدنه .

٢- وصفهما لأبيهما بالكبر المستلزم للضعف دون أن يصرحا بالضعف، فقالا كما حكى القرآن عنهما " وأبونا شيخ كبير " ، ولم يقولا : شيخ ضعيف تأدباً مع والديهما ، وإن كان غائباً عن الحوار .

(١) التحرير والتنوير . ٢٠/ ١٠٤ مرجع سابق .

(٢) الكشاف ٤ / ٤٩٣ مرجع سابق .

(٣) روح المعاني ٢٠/ ٦٧ مرجع سابق .

٣- نداء البنت على أبيها بقولها " يا أبت استأجره " هذا النداء بأداة البعد الدال على استصغارها لنفسها وإجلالها لأبيها -كما يقول البقاعي – رحمه الله- [١].

وهذا يذكرنا بخاطب خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لأبيه حين حاوره في شأن عبادته للأصنام قائلاً : ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ ، وخطاب ولده إسماعيل عليه السلام له حين قال له : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ ، ونداء حفيده يوسف عليه السلام لأبيه يعقوب عليه السلام – حفيده أيضاً- حين قال له : { يا أبت إني رأيت ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ ، وهكذا تكون الذرية بعضها من بعض على نفس البر والخلق الذي كان عليه الأصل .

من خلال هذه المعالم الأخلاقية في شخصية ابنتي الرجل الصالح نستطيع أن نقف على ملامح الصورة الخلقية لديهما، ونستطيع أن نقدم دروساً مفادة من هذه الصورة للفتاة المسلمة ؛ لكي تبني الجانب الخلقي في شخصيتها على هذا الطراز الأخلاقي البديع ، وتفصيل ذلك على النحو الآتي :

المطلب الثاني : الدروس المستفادة من أخلاق ابنتي الرجل الصالح

قدمت لنا ابنتا الرجل الصالح صورة لبعض الأخلاق الإسلامية التي يجب على المسلمات التحلي بها ، ومن خلال هذه الصورة أقدم دروساً عملية تستطيع من خلالها فتاة الإسلام أن تتمثل هذه الأخلاق في حياتها العملية ، و ذلك على النحو الأتي :

أولاً : التوازن في الجانب الخلقي ، ونعني بهذا التوازن أن يكون الخلق عندها وسطياً ، وقد ظهر هذا التوازن، وهذه الوسطية في أخلاق ابنتي الرجل الصالح من خلال جمعهما بين الحياء والشجاعة الأدبية ، مع الفصاحة والبيان، فلم يمنعهما الحياء من إجابة سؤال نبي الله موسى عليه السلام {ما خطبكما} ، ومن تبليغه رسالة أبيها في منطق بليغ { إن أبي يدعوك ... } ، ومن التعبير عن رأيها في استئجار موسى للعمل لدى والدها { يا أبت استأجره }، وكذلك نلحظ هذا التوازن في جمع ابنتي الرجل الصالح بين قوة الشخصية واحترام الوالد والأدب مع الكبير .

وفي هذا درس لفتاة اليوم أن تكون على هذا التوازن في جميع أخلاقها، فلا يمنعها حياؤها من قول الحق ، ومن السؤال عن العلم مقتدية في ذلك – أيضاً- بنساء الأنصار قالت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها-: (نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) [٢]

ثانياً : الحياء سلوك عملي يظهر في الحركات والتصرفات كالمشي والكلام كما يظهر في اللباس والهندام . ولذا وصف القرآن الكريم مشية ابنة الرجل الصالح بأنها مشية ملؤها الحياء { تمشي على استحياء قالت } ، ويجوز أن يكون المراد أن قولها ملؤه الحياء – أيضاً- (إذا بدأنا القراءة بعلى) ، وقد وصفها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الأثر المروي عنه بأنها جاءت واضعة

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ٢٦٩/١٤ مرجع سابق .

(٢) صحيح مسلم ،كتاب الحيض ، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك ١/ ١٥٠ط.بيت الأفكار الدولية ١٤١٩هـ

ثوبها على وجهها ، ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة "[١] من الحياء ، ومن ثم ظهر الحياء في المشي والكلام واللباس ، وهذا درس لفتيات اليوم اللاتي لا يلتفت بعضهن إلا لحياء اللباس فقط فتمشي تضرب الأرض بحذائها ، وتأتي بحركات تلفت الناظرين إليها ، أو تتكسر في كلامها، أو ترفع صوتها ؛ ليسمعه كل من حولها ليلتفتوا لجمال صوتها كل هذا وأمثاله ، وهي تلبس اللباس الشرعي .

ثالثاً : الأخلاق الحسنة لا تكون لدى الإنسان إلاَّ إذا صارت عادة له يلتزم بها في كل مكان، وأمام أي أحد، في السر والعلانية ، ولذا عرف الإمام الغزالي –رحمه الله– الأخلاق بأنها : "هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية." [٢] ، وإنما اشترط الإمام الغزالي أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية ؛ لأن من تكلف بذل المال، أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم [٣] .

وقد ظهرت أخلاق الفتاتين الثابتة المستقرة في قولهما لموسى عليه السلام { لا نسقي حتى يصدر الرعاء } أي : عادتنا وشأننا ذلك كل يوم ، ولما جاءت البنت إليه كانت مشيتها على استحياء ؛ لأن عادتها المشي بحياء لكن لما كانت ذاهبة لمقابلة رجل اجنبي ازدادت حياء على حيائها . وفي هذا درس أن تلتزم الفتاة المسلمة بالأخلاق الحسنة أينما ذهبت ، وأمام أي أحد حتى تصير عادة لها وطبعاً .

رابعاً : العقل والذكاء كما هو محمود في الرجال فهو محمود في النساء –أيضاً–، لكن قد تظن بعض النساء أن الذكاء والفطانة من خصائص الرجال، وهذا خطأ بين ، فهاتان الفتاتان فهمتا ما يدور في نفس موسى عليه السلام عن وجود رجل يكيفهما هذا العمل الشاق من عدمه ؟ فأسرعتا بالجواب دون أن تنتظرا السؤال فقالتا { وأبونا شيخ كبير } ، وأرسلت إحداهما حكمة صائبةً فيمن يستعمله الناس ويكلفونه بالعمل صارت نهجاً ثابتاً في كل زمان ومكان فقالت : { إن خير من استأجرت القوي الأمين } حتى أخذ الفاروق من كلامها – وهو من هو في عقليته– من كلامها فكان يشكو إلى الله : جَلَد الفاجر وعجز الثقة[٤].

وفي هذ درس للفتاة المسلمة أن تكتشف ذكاءها ، وتعمل على تنميته بالتفكير المتواصل ، وطلب العلم النافع .

خامساً : المرأة العاقلة هي التي تستعين بعقلها وفطنتها على حفظ دينها وأخلاقها، فإذا كان العقل والذكاء منقبة في المرأة فعليها أن تستعمل هذا العقل في المحافظة على دينها بالاستعانة به على فعل المأمورات والمندوبات، واجتناب المنهيات والمكروهات ، وقد قدمت ابنتا الرجل الصالح نموذجاً للفتاة المسلمة اليوم على ذلك بكونهما يقفان بعيداً عن الرعاة، ويذودان أغنامهما عن الاشتباك مع أغنام الرعاة؛ لئلا يدفعهما ذلك إلى التحاور والاشتباك معهم ، ولما شعرت البنت بحال موسى عليه السلام، وكونه غريباً لا عمل له، ولا مأوى أرشدها عقلها وتفكيرها إلى دعوة أبيها إلى استئجاره؛ لكي تنقذ نفسها وأختها من هذه المعاناة اليومية في العمل ، وفي هذا درس لفتاة الإسلام اليوم أن يكون تفكيرها فيما يعود عليها بصون دينها وأخلاقها لا أن

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص كتاب التفسير باب تفسير سورة القصص ٤٠٨/٢ وقال الحاكم :صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .ط.دار المعرفة – بيروت لبنان بدون تاريخ .

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٣ ط . دار المعرفة – بيروت بدون تاريخ

(٣) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٤) السياسة الشرعية للإمام ابن تيمية ص ١٦ ط . دار الآفاق الجديدة . الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

تشغل عقلها بصغائر الأمور وتوافهها من (المودات والتسريحات والزينات ونحوها) وفي الحديث : " إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفسافها "[(١)]

سادساً : على المرأة المسلمة أن تتحلى بالشجاعة الأدبية التي تجعلها تبدي رأيها ، وتتحدث عما يجيش في صدرها مع كامل الأدب والتصون عند عرض الرأي وإبدائه . ولذا رأينا ابنة الرجل الصالح تعرض رأيها على أبيها في شأن استئجار نبي الله موسى عليه السلام دون خوف أن يظن بها أحد ظناً سيئاً ، وفي نفس الوقت كانت ملتزمة بالأدب في حديثها مع أبيها فقالت " يا أبت "، وهذا يعلم الفتاة المسلمة اليوم أن تقول الحق إذا علمته، ولا تخش في الله لومة لائم، ولا تكتم رأيها عن أبيها أو أخيها أو زوجها، بل تنصح من ولاه الله أمراً من أمور المسلمين متى واتتها الفرصة. كل هذا مع حسن عرض الرأي، والالتزام بالأدب الجم .

وليكن لها في أم المؤمنين السيدة أم سلمة –رضي الله عنها– حسن الأسوة حين عرضت رأيها على النبي ﷺ عند عدم استجابة الصحابة لأمر النبي ﷺ بالتحلل من العمرة في صلح الحديبية : " فقالت أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل غما ." [(٢)]

وقد نصحت المرأة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين نهى عن الزيادة في مهور النساء عن أربعمائة درهم ، وأخذ بنصحها ورعاً منه وتقوى رضي الله عنه [(٣)]

سابعاً : من قوة شخصية المرأة أنها تتكلم عن حاجتها مع الرجال دون خضوع بالقول حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض فيها ، فلم يحرِّم الإسلام على المرأة أن تتكلم مع الرجل الأجنبي إذا كانت لها حاجة كشراء وبيع، وطلب علم وسؤال عن مجهول أو رد لسؤاله .... ونحو ذلك . بشرط أن يكون ذلك بالصوت الطبيعي للمرأة ، وعلى قدر الحاجة دون زيادة أو استرسال في الحديث، وهذا هو الكلام الفطري المتعارف عليه بين الأسوياء قال ﷻ ﴿ **فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾** ﴾ وفسر القرطبي –رحمه الله– القول المعروف بأنه : " الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس." [(٤)]

وفي القصة التي معنا تطبيق عملي على القول المعروف الذي أمر به القرآن الكريم، فقد أجابت الفتاتان على سؤال موسى عليه السلام، وجاءت البنت تدعوه إلى لقاء أبيها ، وكان الكلام في المرتين بوضوح وحياء وعلى قدر الحاجة ، وفي هذا درس لصنفين من الفتيات المسلمات اليوم ، صنف تمتنع عن كلام الرجل الأجنبي البتة ، ولا ترضى بسؤال المعلم ، أو الحديث مع القاضي والطبيب ونحوهم ، وصنف آخر تتحدث مع الرجال الأجانب دون حاجة ، وإذا كانت هناك حاجة استغلتها في زيادة الحديث

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ٣/ ١٣١مكتبة العلوم والحكم الموصل ط الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م قال الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته ص: ٢٧٨.

(٢) صحيح البخاري كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ١٩٦/٣..

(٣) روى القصة البيهقي في سننه الكبرى ، كتاب النكاح ، باب لاوقت للصداق قل أو كثر . ١٢٣/٧ وقال منقطع ط. الهندية ط. أولى ١٣٤٤هـ

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٧٧ . ط. دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م

وكثرته، والدخول في موضوعات جانبية، مع خضوع في القول أحياناً ، وهذا الصنف وذاك ليس على جادة الطريق ، ويقعان بين التفريط والإفراط ، والوسط هو الصواب وهو : الكلام المعروف على قدر الحاجة مع عدم الخضوع فيه .

ثامناً : حسن البيان مظهر طيب من مظاهر المرأة المسلمة، وهو دليل على كمال عقلها، وقوة شخصيتها، وهو وضع الكلام المناسب في الموقف المناسب، وحسن الجواب وحسن الخطاب، والإيجاز في مقام الإيجاز، والإطناب في موضع الإطناب، ونحو ذلك من وجوه البلاغة. ولفتاة الإسلام اليوم أسوة حسنة في ابنتي الرجل الصالح وحسن بيانهما في كلامهما مع موسى ﷺ وأبيهما حيث جاء كلامهما واضحاً غاية الوضوح ومناسباً للمقام بلا إيجاز مخل ، أو إطناب ممل ، وقد مر بنا الحديث حول شواهد هذا في كلامهما في المطلب السابق

ولتقتدي الفتاة المسلمة – أيضاً- بأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – فقد كانت من أفصح الصحابة قولاً ، حتى قال عنها سيدنا معاوية ﷺ : " والله ما رأيت خطيبا قط أبلغ ولا أفطن من عائشة –رضي الله عنها-."[1]

تاسعاً : وجوب الحرص على بر الوالدين في الأقوال والأفعال. بل في الحركات والإيماءات؛ لئلا يقع الإنسان في العقوق وهو لا يدري ، وقد قدمت ابنتا الرجل الصالح المثل على ذلك من خلال ما سبق أن ذكرته من حسن الحديث عن والدهما في غيابه، وحسن ندائهما له، والقيام بالعمل بدلاً منه.

وهذا يعلم الفتاة المسلمة – بل والشباب المسلم – حسن الأدب مع الوالدين في حضورهما عند الكلام معهما ، والاستجابة لأوامرهما ما لم يأمرا بمعصية ، وفي القيام بالأفعال والتصرفات أمامهما ، وكذا عند الحديث عنهما في غيبتهما أمام أي أحد من الناس.

هذه بعض الدروس المستفادة من الجانب الأخلاقي في شخصية ابنتي الرجل الصالح كما توضحه آيات سورة القصص ، وهي دروس تلمس واقع الفتاة المسلمة في أي زمان ومكان، فحبذا لو تدبرتها، وعملت بها ؛ لكي تكون صورة للفتاة التي يريدها الإسلام ، وأنتقل الآن إلى الحديث عن الجانب الاجتماعي في شخصية ابنتي الرجل الصالح على النحو الآتي :

(١) رواه الطبراني في الكبير باب ذكر أزواج النبي ﷺ ٣/ ١٣١ قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٩/ ٣٨٩) مرجع سابق .

المبحث الثاني

بناء شخصية الفتاة المسلمة من الناحية الاجتماعية كما توضحه الآيات

المطلب الأول : الجانب الاجتماعي في شخصية ابنتي الرجل الصالح .

من عظمة الدين الإسلامي أنه يصور لنا الأحكام والآداب في صورة واقعية ملموسة من خلال نموذج حي يراه الناس، ويسمعونه من خلال القصص والأمثال القرآنية والنبوية ؛ ليكون ذلك بياناً لكيفية التزام الناس بهذه الأحكام، وتشجيعاً لهم على تطبيقها وامتثالها، نرى هذا واضحاً في حديث القرآن الكريم عن المرأة من خلال شخصية ابنتي الرجل الصالح في سورة القصص، فقد تضمنت شخصية الفتاتين نموذجاً واقعياً للصورة التي يريد الإسلام من المرأة أن تكون عليه في موقفين مهمين من المواقف الاجتماعية :

أولهما : اختلاطها بالرجال الأجانب عنها .

ثانيهما : إبداء رأيها في الرجال .

ولكي تتضح ملامح صورة المرأة المسلمة في هذين الموقفين أقف معك – أيها القارئ الكريم – لنتبين ما ترسمه لنا الآيات المباركات من هذه الملامح ، وذلك على النحو الآتي :

الموقف الأول : موقف المرأة المسلمة من اختلاطها بالأجانب كما توضحه القصة .

من القضايا الاجتماعية التي شغلت الفكر ، قضية اختلاط المرأة بالرجال ، ويرى الباحث أن قصة ابنتي الرجل الصالح في سورة القصص تمثل الطريق الأقوم والحل الأمثل لهذه القضية من خلال تطبيق عملي من ابنتي الرجل الصالح للضوابط الإسلامية المتعلقة بقضية الاختلاط على أساس أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ –كما يقول علماء الأصول– ، وقبل أن نقف على هذه الصورة العملية التي انتهجتها ابنتا الرجل الصالح في قضية اختلاطها بالرجال؛ لنستنبط من خلالها الدروس المستفادة للمرأة المسلمة المعاصرة أعرج سريعاً على تعريف الاختلاط، وبيان أنواعه، وضوابطه على النحو الآتي :

تعريف الاختلاط :

الاختلاط في اللغة من خَلَطَ الشيء بالشيء يَخْلِطُه خَلْطاً، وخَلَّطَه فاخْتَلَطَ مَزَجَه واخْتَلَطا وخالطَ الشيءَ مُخالَطة وخِلاطاً مازَجَه والخِلْطُ ما خالَطَ الشيءَ وجمعه أَخْلاطٌ. (١)

وقال الزبيدي : "والخلط أعم من أن يكون في المائعات أو غيرها، وقد يمكن التمييز بعد الخلط في مثل الحيوانات والحبوب . وقال المرزوقي : أصل الخلط : تداخل أجزاء الشيء بعضها في بعض وإن توسع فقيل : خلط لمن يختلط كثيرا بالناس ." (٢)

"ويقال للصديق والمجاور والشريك خليط، والخليطان في الفقه من ذلك قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص : ٢٤] (٣)

---

(١) لسان العرب ٧/ ٢٩١ مرجع سابق .

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس ١٩/ ٢٥٨ ط. سلسلة التراث العربي تصدرها وزارة الإعلام بالكويت العدد/١٦ عام ١٤٠٠هـ .

(٣) مفردات غريب القرآن للأصفهاني ص: ١٥٥ ط. دار المعرفة لبنان .

أما تعريف الاختلاط اصطلاحاً فمعناه العام : اجتماع الرجال والنساء في مكان واحد [١]، وهذا المصطلح عُرف في زمن النبي ﷺ على عكس ما يدعي به البعض من حداثته.

والدليل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه – بسنده– عن ابن جريج أخبرنا قال أخبرني عطاء : إذ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال قال كيف يمنعهن ؟ وقد طاف نساء النبي ﷺ مع الرجال ؟ قلت أبعد الحجاب أو قبل ؟ قال إي لعمري لقد أدركته بعد الحجاب . قلت كيف يخالطن الرجال ؟ قال لم يكن يخالطن كانت عائشة –رضي الله عنها– تطوف حجرة مع الرجال لا تخالطهم، فقالت امرأة : انطلقي نستلم يا أم المؤمنين. قالت : عنك وأبت، وكن يخرجن متنكرات بالليل، فيطفن مع الرجال، ولكنهن كن إذا دخلن البيت قمن حتى يدخلن وأخرج الرجال . [٢]

وما رواه أبو داوود في سننه عن حمزة بن أبى أسيد الأنصارى عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء فى الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء « استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق ». فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به." [٣]

أنواع الاختلاط :

قسم العلماء الاختلاط إلى نوعين :

الأول : اختلاط مباح وجائز، وله صورتان :

أ. اختلاط النساء بمحارمهن الرجال : وهذا لا إشكال في جوازه ؛ لورود النصوص المتكاثرة الدالة على حلّ ذلك .

ب. اختلاط النساء بالرجال الأجانب في الأماكن العامة التي تدعو الحاجة إليها، ويشق التحرز منه، مع الالتزام بالضوابط والشروط التي وضعها الإسلام حفاظاً على الرجال والنساء من الأسباب المؤدية إلى المنكرات ، وحماية للمجتمع من التفكك والانفلات، وسيأتي ذكر هذه الضوابط والشروط. [٤]

النوع الثاني : الاختلاط المحرم : وقد عرفه بعض العلماء بعدة تعريفات منها :

ما عرفه به الشيخ/ محمد بن إسماعيل المقدم بقوله: « اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد ، يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر ، أو الإشارة ، أو الكلام ، أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد»[٥]

وقيل: «هو اختلاط جنسي الذكور والإناث اختلاطاً منظماً، ومقنّناً في مجال العلم، أو العمل، أو نحوهما، بمختلف الوجوه، كالاختلاط في الدراسة الجامعية، أو في ميدان العمل بالدوائر الرسمية، والمحلات التجارية، والشركات، والمعامل وغير ذلك»[٦]

---

(١) انظر فقه المرأة بين فقهاء الرجال وفقيهات النساء ، أ.د/ محمد رواس قلعة جي ، ص ١٧ ط/ مكتبة المنار الإسلامية .

(٢) صحيح البخاري كتاب الحج ، باب طواف النساء مع الرجال ٢/ ١٥٣.

(٣) سنن أبي داود كتاب الأدب ، باب فى مشى النساء مع الرجال فى الطريق (٤/ ٥٤٣ وقال الألباني : حسن ط. دار الكتاب العربي . بيروت .

(٤)راجع الاختلاط – حقيقته والموقف منه ص ١٩ سارة بنت أحمد الزامل ، بحث تكميلي يكلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك سعود ١٤٢٩/١٤٣٠هـ

(٥) عودة الحجاب ٥٢/٣ ط دار ابن الجوزي بالقاهرة ط. أولى ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م

(٦) الاختلاط بين الرجال والنساء للقحطاني ص: ٦ ط. سلسلة مؤلفات سعيد بن علي بن وهف القحطاني . كتاب رقم ٩٤.

وأرجح تعريفه بأنه: الاجتماع الدائم بين الرجال والنساء غير المحارم في أماكن خاصة بغير ضرورة ولا حاجة بلا حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد . والأماكن الخاصة كالبيوت وأماكن العمل والتعليم والاجتماعات والمتنزهات ونحوها،

وهذا التعريف لا ينطبق على الخلوة التي تكون بين رجل واحد وامرأة واحدة في موضع لا يراهما فيه من يميز من الناس ،فهذه خلوة محرمة وليست اختلاطاً ، ولا ينطبق على الأماكن التي يوجد بها فصل أو حائل بين الرجال والنساء ولو كان فضاءاً. ولعل تقدير اعتبار الحائل أمر عرفي، تعتبر فيه الحال، إذ ليس فيه نص مُقيِّد، أو معنى مُنضبِط. [1]

ولا يدخل في الاختلاط المحرم – أيضاً- ما ألجئت إليه ضرورة، أو حاجة وانتهى بنهايتها دون زيادة، أو تأخير كالاختلاط عند القاضي، أو عند المفتي، أو في مناسك الحج والعمرة، فكل هذه الصور لا تدخل معنا في الاختلاط المحرم .

أضرار الاختلاط المحرم

١- أنه يؤدي إلى زوال الكلفة بين الرجال والنساء، «فيتكلمون بغير الحاجة مع الخضوع بالقول غالبًا، وإطلاق النظر، والاستمتاع بالكلام وغير ذلك مما نَصَّ عليه النبي ﷺ بقوله: « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه » [2]

٢- أنه يكثر من خلاله العلاقات المحرمة.

٣- أنه يؤدي إلى الخلوة بالمرأة الأجنبية.

٤- أنه يؤدي إلى تلاصق وتزاحم بالأجساد .

٥- ويزداد الضرر من الاختلاط كلما طالت مدته وكثر تكراره، أو عند حدوثه مع الشَوَابّ، أو عند فقد المحْرَم. ويزداد الأمر سوءًا إذا كان ملازمًا لها كالاختلاط في التعليم ، أو مجال العمل، وكل من ابتلى بذلك علم أنه لابد أن يُطَّلع على خصوصيات المرأة ، ولا بد أن يُخلَو بها، والمرأة من أضعف خلق الله ﷺ سريعة التأثر، والرجل مهما كان عاقلًا ورعًا لا يقوى على مقاومة المرأة وإغرائها . [3]

وليس المقام هنا مقام تفصيل أضرار الاختلاط المحرم وأدلته، ولا رد الشبهات التي يثيرها بعض التغريبيين عن تحريمه، وإنما أذكر الضوابط التي وضعها العلماء للاختلاط الذي دعت إليه الضرورة لمناسبتها للقصة التي معنا ، وهذه الضوابط على النحو الآتي :

ضوابط الاختلاط الجائز:

١- أن لا تكون هناك خلوة بين رجل وامرأة عند الاختلاط.

٢- استفراغ الجهد في المباعدة بين الرجال والنساء قدر الإمكان.

٣- أن يكون حضور المرأة لحاجة يشق عليها تركها، وتكون الحاجة طارئة ينتهي الحضور بزوالها.

٤- أن يخلو من النظر إلى مالا يجوز النظر إليه.

---

(١)انظر الاختلاط بين الواقع والتشريع دراسة فقهية: علمية تطبيقية في حكم الاختلاط وآثاره ، الشيخ / إبراهيم بن عبد الله الأزرق ص: ١٠

(٢) صحيح مسلم كتاب القدر ، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا ٨/ ٥٢ مرجع سابق .

(٣) الاختلاط بين الرجال والنساء، أحكام وفتاوى - ثمار مرة وقصص مخزية – شحاتة محمد صقر ٦٥/١- ٦٦ ط.دار اليسر ط الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

٥- أن يكون الكلام على قدر الحاجة، وأن لا تتكسر المرأة في الكلام وتخضع فيه.

٦- أن يخلو من مس أحد الجنسين الآخر.

٧- أن لا تظهر المرأة على حالة تثير الرجال من تعطر واستعمال لأدوات الزينة.

٨- أن يخلو من تبرج المرأة وكشف ما لا يجوز لها كشفه فتكون المرأة مستترة بالحجاب الشرعي الساتر لجميع جسدها. (١)

وعندما نعود إلى موقف ابنتي الرجل الصالح في سورة القصص من قضية اختلاط النساء بالرجال نجدهما قد طبقا هذه الضوابط تطبيقاً عملياً ، وكأن القرآن الكريم يقول لكل فتاة وامرأة مسلمة تضطر إلى الاختلاط بالرجال ها هو النموذج الإسلامي الواقعي الذي ينبغي عليك أن تحتذيه في هذا الموقف ، وتفصيل ذلك من خلال النقاط الآتية :

أولاً : كان خروج الفتاتين للعمل الذي سيؤدي لاختلاطهما بالرجال خروجاً اضطرارياً لحاجتهما إلى ذلك ، لعدم وجود رجل يكفيهما هذا العمل ، ولذا اعتذرتا لنبي الله موسى عليه السلام بقولهما " وأبونا شيخ كبير "

يقول الدكتور/ محمد مطني : " يستدل بهذه الآية على إباحة العمل والاختلاط للضرورة ، فإن الآية الكريمة قد أجابت عن من يتسأل في السبب الذي دعا الشيخ لدفع بناته للعمل ولاحتمالية الاختلاط ، فقالت إحدى البنتين حينما سألها موسى عليه السلام عن سبب امتناعها عن السقي : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ، فقد كان الجواب عن سؤال موسى المعلن وهو سبب عدم السقي { قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ } . وأجابت عن سؤال مضمر في نفس موسى كأنها أحست أنه أخفاه من الحياء ، وهو لماذا لم يأتِ رَجل مكانكن، فقالت: { وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ }، أي : إنا مضطرات ؛ لأن والدنا كان في حالة عجز عن القيام بمهمة السقي ، ولا يوجد رجل يقوم مقامنا، لأن والدنا لم يكن لديه من يخلفه غيرنا." (٢)

ثانياً : لما وجدا أنفسهما مع الرجال على الماء تنحيتا جانباً بعيداً عن الرجال لئلا يختلطا بهما ، ويقع ما لايحمد عقباه من ملامسة الرجال لهما، واحتكاكهم بهما . بل صرفتا أغنامهما عن الاختلاط بأغنام الرجال لئلا يدفعهما ذلك إلى محادثة الرجال في غير ضرورة . خاصة وهذا السقي متكرر يومياً ، مما قد يدفع من في قلبه مرض للتحرش بهما ومضايقتهما .

قال –تعالى –﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ ﴾

يدل على هذا التنحي جانباً قوله ﷻ: " من دونهم "

قال ابن عاشور –رحمه الله-: " في مكان غير المكان الذي حل الماء ، أي : في جانب مباعد للأمة من الناس ، لأن حقيقة كلمة (دون) أنها وصف للشيء الأسفل من غيره(٣) .

وأيضاً قوله جل جلاله : " تذودان " قال البقاعي–رحمه الله– : " (تذودان) اي توجدان الذود ، وهو الكف والمنع والطرد وارتكاب أخف الضررين ، فتكفان أغنامهما إذا نزعت من العطش إلى الملأ لئلا تخلط بغنم الناس ." (٤)

---

(١) المرجع السابق ١/ ٧٣- ٧٤ بتصرف .

(٢) سورة القصص دراسة تحليلية ١/ ٣٩١ مرجع سابق .

(٣) التحرير والتنوير : ٩٩/٢٠ مرجع سابق .

(٤) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ٢٦٩/١٤ مرجع سابق .

ثالثاً : أن الفتاتين كانتا متلزمتين باللباس الشرعي ، ولذا قيل في معنى (تذودان): أنهما تذودان أبصار الرعاء عنهما ببعدهما وتسترهما عن أعينهما فلم ير الرعاة منهما ما يدفعهم للطمع فيهما .

قال الزمخشري –رحمه الله-: " قيل : تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما "(١)

وهكذا شأن المرأة إذا اضطرتها الضرورة للاختلاط بالرجال عليها أن تكون ملتزمة باللباس الشرعي، ولا تخرج متعطرة متزينة فيطمع فيها الرجال .

رابعاً : أنهما اختارتا شدة التعب، وطول الانتظار، وسقي الدواب بفضل الماء الباقي من الرعاء في الحياض على الاختلاط ومزاحمة الرجال.

قال السيوطي–رحمه الله- : " أخرج ابن المنذر عن مجاهد في قوله (قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء) قال : تنتظران أن تسقيا من فضول ما في حياضهم ." (٢)

ولا يقولنّ قائل إنهما كانتا عاجزتين عن المزاحمة ، فلو كانت واحدة لصدق هذا القول ، أما وهما اثنتان فلا يتصور هذا العجز ، وهب أنهما عجزتا في يوم أكانتا عاجزتين في كل يوم !.

وهذا شأن المرأة المسلمة التي تقدر الضرورة حق قدرها، ولا تدفعها الضرورة إلى أخذ ما زاد على الرخصة، فهما خرجتا مضطرتين لكن صبرتا على المحافظة على دينهما بعيداً عن مزاحمة الرجال، مع ما في ذلك من العناء والعنت وشدة التأخير .

يقول الشيخ الشعراوي–رحمه الله- : " في قوله تعالى : { لاَ نَسْقِي حتى يُصْدِرَ الرعآء } إشارة إلى أن المرأة إذا اضطرتْ للخروج للعمل ، وتوفرْت لها هذه الضرورة عليها أنْ تأخذَ الضرورة بقدرها ، فلا تختلط بالرجال ، وأنْ تعزل نفسها عن مزاحمتهم ، وليس معنى أن الضرورة أخرجتْ المرأة لتقوم بعمل الرجال أنها أصبحتْ مثلهم ، فتبيح لنفسها الاختلاط بهم." (٣)

ولذا تقول الرواية أن موسى عليه السلام لما سقى لهما رجعتا إلى أبيهما سريعاً على غير عادتهما في التأخير، فسألهما عن سبب ذلك فأخبرتاه بخبر موسى عليه السلام. (٤)

خامساً : ومن شدة حرص الفتاتين على الابتعاد عن مخالطة الرجال أنهما كانتا تنتظران حتى ابتعاد الرعاة تماماً ، ورجوعهم من حيث أتوا ؛ لئلا تقع الخلطة بأحدهم، أو بالمتأخر منهم ، وهذا منهما – رحمهما الله- غاية البعد عن مخالطة الرجال ، ولذا استخدم القرآن الكريم تعبير (يصدر الرعاء) لأن لفظة (يَصْدُرُ) توحي برجوع الرعاء من حيث أتوا، وهي مقصودة في التعبير لتصوير مشهد الرعاة العائدين بعد السقاية." (٥)

قال الشوكاني –رحمه الله-: "{قَالَتَا لاَ نَسْقِي حتى يُصْدِرَ الرعاء} أي : إن عادتنا التأني حتى يصدر الناس عن الماء وينصرفوا منه حذرا من مخالطتهم. " (٦)

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٣/ ٤٠٥ مرجع سابق .

(٢) الدر المنثور ٦/ ٤٠٦ مرجع سابق .

(٣) تفسير الشعراوي ١٠٩٠٥/١٧ ط. دار أخبار اليوم بالقاهرة ١٩٩١م .

(٤) الدر المنثور ٦/ ٤٠٤ مرجع سابق .

(٥) وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم ص ٢٨٦ . مرجع سابق .

(٦)فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٤/ ٢٣٦ مرجع سابق .

وقد وردت قرءاتان سبعيتان في قوله ﷻ " يصدر " ، وكلا القراءتين تدلان على شدة توقي الفتاتين لمخالطة الرعاء

قال ابن مجاهد—رحمه الله- : " قرأ أبو عمرو وابن عامر حتى يصدر بنصب الياء وضم الدال من صدرت ، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وحمزة والكسائى يصدر برفع الياء وكسر الدال من أصدرت . "(١)

قال الألوسي—رحمه الله- : " وسأل بعض الملوك عن الفرق بين القراءتين من حيث المعنى، فأجيب بأن قراءة يصدر بفتح الياء تدل على فرط حيائها وتواريهما من الاختلاط بالاجانب، وقراءة يصدر بضم الياء تدل على إصدار الرعاة المواشي ولم يفهم منها صدورهم عن الماء ." (٢)

أقول فصارت القراءتان تكملان المعنى فالأولى أفادت انصراف الرعاء ، والثانية أفادت انصراف مواشيهم . والله أعلم

سادساً : أن أحداهما لما أرسلها أبوها إلى موسى عليه السلام لتكلمه وتدعوه خرجت مضطرة حيث لم يكن لأبيها من الولد أو الخادم من يرسله بديلاً عنها ، ومع ذلك خرجت محتشمة بلباسها الشرعي حتى سترت وجهها بطرف كمها —كما في رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت مشيتها مشية العفيفات صاحبات الحياء فكانت حركاتها ومظهرها كله في نطاق الشرع والدين.
قال صاحب اللباب : " قيل : ماشية على بُعْد ، مائلة عن الرجال ." (٣)

سابعاً : لما كلمت الفتاة موسى عليه السلام كلمته كلاماً واضحاً مقتضباً على قدر حاجتها، فلم تسترسل ، ولم تتكسر في كلامها، أو تلين في صوتها. بل يظهر من حديثها الجدية والوضوح " قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا " هذا مع احتفاظها بكامل حيائها عند قولها لموسى ذلك ، لذا يبدأ بعض القراء بقوله تعالى " على استحياء قالت إن أبي يدعوك " — كما مر ذكره-

ونلاحظ في كلامها — أيضاً- عدم فتح مجال للحوار، والأخذ والرد بينها وبين موسى عليه السلام، فقد سبقته ببيان ما يجول بخاطره، وما سيتفسر عنه قبل أن ينطق : فذكرت له من يدعوه ؟ فقالت : (إن أبي) ، وذكرت له سبب الدعوة (ليجزيك أجر ما سقيت لنا) ، وفي قولها في بداية كلامها (إن أبي يدعوك) كأنها تقول له : إن كان لديك سؤال تريد أن تسأله فسئل صاحب الدعوة ، فما أنا إلا رسول فقط ، وهكذا جاءت كلماتها القليلة شافية كافية — رحمها الله -.

ثامناً : لما كان الطريق إلى موسى عليه السلام طريقاً عاماً يمر فيه الناس والرعاة وغيرهم أرسل الرجل الصالح ابنته لتدعو موسى عليه السلام ؛ لأنه لا تتحقق فيه صورة الاختلاط المحرم، أو الخلوة المحرمة ، فالنساء تمشي في الطرقات وكذا الرجال ، وهذا من الأمور الفطرية طالما أن المرأة تخرج لحاجتها ملتزمة بلباسها الشرعي، والرجال والنساء يغضون من أبصارهم ، ولذا ورد أن موسى عليه السلام زيادة في الورع والاحتياط جعلها تمشي خلفه لهبوب الريح في ذلك اليوم على ثيابها .

هذه بعض النقاط التي توضح استمساك ابنتي الرجل الصالح بالشروط والضوابط التي وضعها الإسلام لاختلاطها بالرجال ، لذا يعجب الباحث من محاولة بعض دعاة الاختلاط المحرم الاستدلال بهذه القصة على جواز الاختلاط على عواهنه دون قيد، أو شرط ، وآيات القرآن وكلماته في القصة ترد هذا الزعم وتدحضه .

---

(١) السبعة في القراءات ص: ٤٩٢ ط. دار المعارف – القاهرة الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ

(٢) روح المعاني ٢٠/ ٦٠ مرجع سابق .

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٥/ ٢٣٩ مرجع سابق .

يقول الشيخ / إبراهيم بن عبد الله الأزرق : " ومن عجيب ما يتمسكون به (دعاة الاختلاط المحرم)كذلك نبأ موسى عليه السلام مع بنتي صاحب مدين، وليس فيه حجة على جواز الاختلاط بل هو دليل آخر على المنع، فموسى لما رأى أُمّة من الناس يسقون، ووجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما عن السقيا مع القوم، منعزلتان لا تسقيان مع الناس، لم يرضه موقفهما واستغربه ولهذا سألهما بعبارة مختصرة: ما خطبكما ؟ فكان الجواب بأوجز عبارة وبقدر الحاجة : (لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير).

والأسئلة التي ينبغي أن تطرح هنا لماذا هذا الاقتضاب؟ مع أنه عند أبيهما قص القصص! ولماذا لم تسقيا؟ ولماذا ذادتا غنمهما؟ وعن ماذا ذادتا الغنم؟ أليس عن الاختلاط بغنم القوم؟ ثم أليس الأولى لهما أن تعجلا؟ جواب ذلك في القول باستقرار المنع من الاختلاط عندهما ولهذا قالتا: (لا نسقي حتى يصدر الرعاء) ." (١)

الموقف الثاني : إبداء المرأة رأيها في الرجل كما توضحه القصة

سبق أن ذكرت عند الحديث عن الجانب الخلقي في شخصية ابنتي الرجل الصالح ما تمتعتا به من خلق الشجاعة الأدبية في إبداء الرأي المناسب في الوقت المناسب ، ولما كان هذا الرأي يتعلق برأيها في رجل بعينه ،كان لا بد من طرح هذا السؤال في الجانب الاجتماعي من حياة المرأة : هل للمرأة أن تبدي رأيها في الرجل ؟ وما حدود ذلك وضوابطه ؟

بادئ ذي بدء أقول : إن الإسلام أعطى المرأة حقاً عاماً في التعبير عن رأيها أمام أي أحد من الناس في الشئون العامة والخاصة عندما يطلب منها الرأي ، أو ترى أنه من الواجب عليها إبداء رأيها ونصحها ، ولذا جعل الله عز وجل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمراً مشتركاً بين النساء والرجال فقال جل جلاله : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ ، وكل النصوص الشرعية التي جاءت في النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق والصبر تعم الرجال والنساء.

فتستطيع المرأة أن تأمر وتنهى الرجال إذا أمنت الفتنة ، وكانت بعيدة عن الخلوة والاختلاط المحرم ، والتزمت بحجابها الشرعي ، ولم تخضع في كلامها ، أو تخرج عن حدود النصيحة والأمر والنهي .

فقد كانت السيدة عائشة – رضي الله عنها– تنكر أحيانا على بعض الصحابة – رضوان الله عليهم– ، وأوقفت السيدة خولة بنت ثعلبة – رضي الله عنها– أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الطريق فوعظته .

عن ثمامة بن حزن قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير على حماره لقيته امرأة فقالت : قف يا عمر ، فوقف ، فأغلظت له القول . فقال رجل يا أمير المؤمنين : ما رأيت كاليوم ؟ قال : وما يمنعني أن أسمع لها ؟ وهي التى سمع الله لها ، وأنزل فيها ما أنزل (قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها). (٢)

أما كون المرأة تبدي رأيها في الرجل بمدح أو ذم فهذا – والله أعلم– لا حرج فيه مثلها في ذلك مثل الرجل حين يبدي رأيه في المرأة . لكن بضوابط وشروط منها : التزام الصدق وقول الحق، فيكون الرأي مبنياً على دليل وبرهان، وليس مجرد حدس وتخمين ، وعدم المدح الذي يصل إلى النفاق والمداهنة، أو الذم الذي يصل إلى التجني والبهتان ، وألا يكون الموضع موضع ريبة

---

(١) الاختلاط بين الواقع والتشريع ص: ٥٨ مرجع سابق .

(٢) كنز العمال علاء الدين الهندي البرهان فوري (٢/ ٥٢٠–٥٢١) وقال : أخرجه البخاري في تاريخه وابن مردويه.ط. مؤسسة الرسالة ط الخامسة ،١٤٠١هـ/١٩٨١م

أو فتنة، أو يترتب على إبدائها لرأيها فساد، أو ضرر يلحق بها أو بدينها وأسرتها ومجتمعها ، وهذه الضوابط تنطبق –أيضاً– على الرجال في إبدائهم لرأيهم في المرأة .

والدليل على ذلك أن الإسلام جعل لها الحق في إبداء رأيها في الرجل الذي جاء ليتزوجها .

عن ذكوان مولى عائشة–رضي الله عنها – قال : سمعت عائشة–رضي الله عنها – تقول سألت رسول الله ﷺ عن الجارية ينكحها أهلها أتستأمر أم لا؟ فقال لها رسول الله ﷺ « نعم تستأمر ». فقالت عائشة فقلت له فإنها تستحيي. فقال رسول الله ﷺ « فذلك إذنها إذا هي سكتت »(١)

وهكذا لم يجعل الإسلام المرأة حبيسة لا تفكر... ولا تعبر، بل أباح لها حتى في وقت الخجل عندما تُخطب، أن تبدي رأيها في خاطبها . "(٢)

وقد عبرت الصحابيات عن رأيهن في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أمام النبي ﷺ . " فقلن له: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ . "(٣)

وقد قالت الصحابيات ذلك لعمر ﷺ ؛ لأن النبي ﷺ كان لا يواجه أحدا بما يكره . الاّ في حق من حقوق الله ﷻ، وكان عمر ﷺ يبالغ في الزجر عن المكروهات مطلقاً، وطلب المندوبات، فلهذا قال النسوة له ذلك .(٤)

وفي القرآن الكريم نجد النسوة اللاتي كن مع امرأة العزيز يشهدن ليوسف ﵇ ويقلن عنه : ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾] " وامرأة العزيز تمدحه وتقول عنه { وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ }

وتحكي كتب التاريخ أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ حين وكل اليه أمر اختيار الخليفة الثالث للمسلمين من بين عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب – رضي الله عنهما– طفق يشاور كل من كان في المدينة، وأنه شاور حتى العذارى في خدورهن(٥) .

وفي القصة التي معنا نجد ابنة الرجل الصالح تعبر عن رأيها في نبي الله موسى ﵇ ، وتمدحه بالقوة والأمانة عن طريق غير مباشر فتقول لأبيها : ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص: ٢٦

فقد أعلنت رأيها فيه مرتين : مرة صراحة حين رشحته ليعمل عند أبيها، وهي لا ترشح أحداً لهذا العمل إلاّ وهي ترى فيه المؤهلات لذلك ، ثم في المرة الثانية أثنت على أخلاقه بطريقة مبتكرة بليغة لا تعطي لأبيها فرصة لرفضه ، فقالت له : إن أفضل من يستأجره الإنسان العاقل الحكيم ليعمل عنده القوي الأمين ، وها هو القوي الأمين أمامك فلا تتردد في استئجاره . وقد أكدت رأيها فيه بقولها " إن " الدالة على التأكيد وبالجملة الاسمية .

---

(١) صحيح مسلم كتاب النكاح ، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت (٤/ ١٤٠مرجع سابق .

(٢)حقوق الإنسان في الإسلام ، الشيخ: عبد الفتاح عشماوي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. العدد / ٥٣

(٣) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، باب : صفة إبليس وجنوده ١١٩٩/٣، صحيح مسلم . كتاب الفضائل ، باب : فضائل عمر بن الخطاب ١١٤/٧.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني ٧/ ٤٧ ط. دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ .

(٥)منهاج السنة النبوية للإمام ابن تيمية ٦/ ٢٣٢ تحقيق د/ محمد رشاد سالم . ط/ مؤسسة قرطبة ، الطبعة لأولى

يقول البقاعي –رحمه الله– : " ثم عللت قولها، فقالت: مؤكدة إظهاراً لرغبتها في الخير واغتباطها به : (إن خير من استأجرت) لشيء من الأشياء (القوي) وهو هذا لما رأيناه من قوته في السقي (الأمين) لما تفرسنا فيه من حيائه ، وعفته في نظره ومقاله وفعاله ، وسائر أحواله "[١]

"ومجيء هذا العموم عقب الحديث عن شخص معين يؤذن بأن المتحدث عنه ممن يشمله ذلك العموم ، فكان ذلك مصادفاً المحز من البلاغة إذ صار إثبات الأمانة والقوة لهذا المتحدث عنه إثباتاً للحكم بدليل . فتقدير معنى الكلام : استأجره فهو قوي أمين، وإن خير من استأجر مستأجر القوي الأمين ." [٢]

وهي حين تعبر عن رأيها في رجل غريب عنها أمام والدها تلجأ إلى هذا التعميم الدال على كمال الحياء –كما سبق أن ذكرت– ، ولذا يمدح العلامة الألوسي هذا الصنيع لها بقوله : " ولعمري أن مثل هذا المدح من المرأة للرجل أجمل من المدح الخاص وأبقى للحشمة وخصوصا إن كانت فهمت أن غرض أبيها أن يزوجها منه ." [٣]

وهي – أيضاً– تبدي رأيها في شخصية نبي الله موسى عليه السلام بناءً على وقائع ملموسة، وأدلة جلية واضحة عاينتها بنفسها، فجاء حكمها حكماً صائباً مبنياً على برهان وحجة قطعية .

ولذا ورد أن أباها سألها : وكيف عرفت قوته وأمانته ؟ فأجابت : أما قوته فإنه قلب الحجر وحده وكان لا يقلبه إلا النفر. وأما أمانته فإنه قال : امشي خلفي وارشديني الطريق لاني امرؤ من عنصر إبراهيم عليه السلام لا يحل لي منك ما حرم الله تعالى ." [٤]

وهي –كذلك– حين تعبر عن رأيها في نبي الله موسى عليه السلام تعلم أن هذا الموضع لا تهمة فيه، ولا ريبة، فقد رأت أمامها صفات طيبة يبحث عنها كل صاحب عمل متمثلة في هذا الشاب الغريب، فبادرت بلفت نظر أبيها إلى هذه الصفات ، لذا جاء تعبيرها واضحاً نقياً .

وفي النهاية نلحظ أنها حين نظرت في الصفات التي يتحلى بها نبي الله موسى عليه السلام وزنتها بميزان الشرع والخلق لا بالميزان المادي، فذكرت أفضل صفتين توفرت فيه، وهما القوة والأمانة {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}، لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان ؛ أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك ، وتم مرادك –كما يقول صاحب الكشاف–[٥]

وقيل : أرادت بهاتين الصفتين : القوي في دينه ، الأمين في جوارحه. [٦]

وهذا دليل نظرتها الثاقبة، ومعرفتها القوية بأقدار الناس، والموازين الصحيحة التي يجب أن يوزنوا بها ، ولذا اختارت صفتين اجتماعهما فى الناس قليل، لدرجة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : اللهم اشكو اليك جلد الفاجر وعجز الثقة .

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ٥/ ٤٧٨ مرجع سابق .

(٢) التحرير والتنوير ٢٠/ ١٠٦ مرجع سابق .

(٣) روح المعاني ٢٠/ ٦٦ مرجع سابق .

(٤) الدر المنثور للإمام السيوطي ٦/ ٤٠٤ . مرجع سابق .

(٥) الكشاف ٣/ ٤٠٧ مرجع سابق .

(٦) البحر المديد لابن عجيبة الاندلسي ٥/ ٢٥٩ .ط . دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م . ١٤٢٣ هـ

عن ابن مسعود ﷺ قال: أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرس في عُمَر، وصاحب يوسف حين قال: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ يوسف: ٢١ ، وصاحبة موسى حين قالت: ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ ﴾. (١)

ولا أستبعد أن تكون نفسها قد تمنت الزواج منه، فهذا شأن فطري قد يمر في قلب أي فتاة ، "والقوة والأمانة حين تجتمعان في رجل لا شك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة التي لم تفسد، ولم تلوث، ولم تنحرف عن فطرة الله ." (٢)، فكيف وآثار النبوة وأخلاقها بادية على نبي الله موسى ﷺ . ولم نعجب من هذا التمني ، وقد مدحت السيدة أم سليم – رضي الله عنها– أبا طلحة الانصاري ﷺ حين جاء يخطبها – وهو على الشرك– قائلة له " مثلك لا يرد "

عن أنس قال خطب أبو طلحة أم سليم فقالت والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري، وما أسألك غيره، فأسلم، فكان ذلك مهرها، قال ثابت: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرا من أم سليم الاسلام فدخل بها فولدت له ." (٣)

هكذا كن النسوة الصالحات يبدين رأيهن في الرجال دونما خوف من سوء ظن، أو تهمة طالما أن الأمر ليس به ريبة، أو يتعلق به فتنة .هذان موقفان من المواقف الاجتماعية الدالة على شخصية ابنتي الرجل الصالح ، ومن خلالهما نستطيع أن نقدم لفتاة الإسلام اليوم بعض الدروس لتفيد منها في الجانب الاجتماعي من حياتها ، وذلك على النحو الآتي :

---

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام لبن كثير ٦/ ٢٢٩ مرجع سابق .

(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٤٢١ مرجع سابق .

(٣) أخرجه النسائي في السنن (المجتبى) كتاب النكاح ، باب التزويج على الإسلام (٣/ ٣١٢) وقال الألباني: صحيح ط مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ط. الثانية ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م تحقيق عبد الفتاح أبو غدة .

المطلب الثاني : الدروس المستفادة من الجانب الاجتماعي لدى ابنتي الرجل الصالح

رأينا من خلال السطور السابقة ابنتي الرجل الصالح، وهما تتعاملان مع المجتمع من حولهما ، وقد عرض لنا القرآن الكريم موقفين لهما في غاية الأهمية للنساء في كل زمان ومكان وهما : موقفهما من اختلاطهما بالرجال ، وموقف إحداهما وهي تجهر برأيها في رجل أمام والدها ، وقد عاينا من خلال كلمات القرآن وتعبيراته المعجزة كيف التزمت الفتاتان في هذين الموقفين بالضوابط الشرعية والخلقية، فلم تخرجا عن حدود الشرع، ولم تجاوزا حرمات الأخلاق .

ومن ثم قدمتا نموذجاً واقعياً ملموساً لكل فتاة مسلمة تقف موقفهما كيف تتصرف ؟ وكيف تطبق أحكام الشرع وآدابه بسهولة ويسر دون عنت ومشقة ، وأزيد هذا النموذج إيضاحاً بالتركيز على بعض الدروس المستفادة من الجانب الاجتماعي في شخصية ابنتي الرجل الصالح ، وذلك على النحو الآتي :

١- شأن الفتاة المسلمة أن تبتعد عن أماكن الاختلاط بالرجال قدر استطاعتها ، وأن يكون بيتها ومجتمعها النسوي أحب إليها من الاحتكاك بالرجال والدخول إلى مجتمعاتهم، والتحدث إليهم قدوتها في ذلك ابنتا الرجل الصالح اللتان اضطرتا للخروج من بيتهما للعمل، لكن ما إن وانتهما الفرصة للرجوع إلى البيت حتى بادرا، وكان حالهما على ما وصفه صاحب الظلال بقوله : " إنها وأختها تعانيان من رعي الغنم ، ومن مزاحمة الرجال على الماء ، ومن الاحتكاك الذي لا بد منه للمرأة التي تزاول أعمال الرجال . وهي تتأذى وأختها من هذا كله؛ وتريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت؛ امرأة عفيفة مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى . "(١)

٢- إذا اضطرت الفتاة إلى الاختلاط بالرجال فعليها التنحي جانباً عنهم وعدم مزاحمتهم ؛ لأن الضرر الأكبر سيقع عليها ، وقد يحدث احتكاك بينها وبين الرجال يؤدي إلى إثارة الشهوات وحدوث ما لايحمد عقباه .

" والمرأة العفيفة الروح ، النظيفة القلب، السليمة الفطرة، لا تستريح لمزاحمة الرجال، ولا للتبذل الناشئ من هذه المزاحمة ." (٢)

٣- على المرأة أن تلتزم بشروط اللباس الشرعي في ثيابها، وتتحرى ما لا يلفت نظر الرجال إليها كما كانت ابنتي الرجل الصالح تذودان أبصار الرجال عنهما بابتعادهما وتسترهما، فكانت ثيابهما غير ملفتة لنظر الرعاة .

٤- من أكثر الدروس إفادة للفتاة المسلمة من موقف ابنتي الرجل الصالح من قضية الاختلاط بالرجال ضرورة أن تقدر الفتاة المسلمة الضرورة بقدرها، فلا تجاوز الرخصة، فتخرج بها إلى المحرم ، فالفتاتان آثرتا الانتظار في حرارة الشمس حتى يفرغ الرعاء من السقي، مع اكتفائهما ببقية الماء على الاختلاط، ومدافعة الرجال لكون ضرر الانتظار أخف من ضرر الاختلاط والمزاحمة، وهكذا كل فتاة مسلمة تكون في موضع الاضطرار على الاختلاط بالرجال عليها أن تقدر الضرورة حق قدرها؛ لترى أيهما أعظم خطراً الاختلاط ومزاحمة الرجال ؟ أم الصبر وعدم المزاحمة ؟

٥- قد تضطر الفتاة المسلمة للحديث مع رجل، أو عدة رجال عن حاجة لها، - وهذا من الأمور المباحة في الإسلام- ولكن عليها أن تبتعد عن مواطن الريبة، فتذكر حاجتها على الملأ دون خلوة، ودون زيادة واستطراد في الحوار يجعله يخرج عن

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٤٢٠ مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

موضوعه الأصلي، وبالصوت الطبيعي دون خضوع في القول، وقدوتها في ذلك ما فعلته ابنة الرجل الصالح حين تكلمت مع موسى عليه السلام وهو جالس تحت ظل الشجرة في الطريق العام، وكلمته بأوضح عبارة وأخصرها دون أن تعطي مجالاً لكثرة الحوار فبينت الداعي، وسبب الدعوة في جملة واحدة ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

٦- إذا أرادت الفتاة اليوم أن تبدي رأيها في رجل فعليها أن تتحرى الصدق والأمانة ، فتبني رأيها على حقائق واقعية وأدلة صادقة ملموسة فهذه شهادة يحاسبها الله عز وجل عليها ، قال جل جلاله : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ النساء: ١٣٥

ومن ثم لما مدحت ابنة الرجل الصالح موسى عليه السلام مدحته لما رأت منه أمام عينيها من وقائع ملموسة تدل على قوته وأمانته

٧- ما أجمل حين تعبر الفتاة عن رأيها في الرجال أن تمتطي صهوة التلميح والتعميم، ولا تشق عباب التخصيص والتصريح، فهذا أليق بحيائها وسترها خاصة إذا كان ذلك التعبير أمام محارمها من الرجال ، ولذا جعل النبي ﷺ إذن البكر بالزواج سكوتها ، وقد عممت ابنة الرجل الصالح في مدحها لموسى عليه السلام أمام والدها بقولها : {إن خير من استأجرت القوي الأمين }، وهي تريد أن تقول له : استأجره لقوته وأمانته .

٨- على الفتاة المسلمة أن تختار الوقت والمكان والأشخاص المناسبين لكي تعبر عن رأيها في رجل بعينه أمامهم، حتى لا يترتب على كلامها فتنة ، أو مفسدة ، أو ضرر يلحق بها، فابنة الرجل الصالح قالت لأبيها بينها وبينه ، ولم تذكر ذلك أمام موسى عليه السلام ، وجاءت كلماتها في الوقت المناسب بعد أن شعرت أن أباها قد اطمئن له ، واستمع لحكايته ، وبشره بالنجاة من القوم الظالمين ، وهي – أيضاً- خشيت أن ينصرف موسى دون أن تشير على أبيها بهذا الرأي في الزمن المناسب له ، فدعت أباها وأشارت عليه بذلك .

٩- قدمت لنا – رجالاً ونساء –ابنة الرجل الصالح – درساً بليغاً في المعيار الصحيح الذي يوزن به الرجال ، وهو معيار الدين والخلق ، وليست الصفات الظاهرية من وسامة المنظر، وحسن الهندام، وأثر الغنى والثراء، فكل هذه المظاهر أمور عارضة سرعان ما تتبدل وتتغير، إنما الصفات الخلقية والنفسية هي الباقية ، لذا مدحت الفتاة موسى عليه السلام بالقوة والأمانة ، والقوة ليست قوة البدن فحسب بل قوة الدين والعقيدة – أيضاً- والأمانة تشمل كل أنواع الأخلاق الحسنة . وهي في هذا تبعث برسالة إلى فتيات الإسلام اليوم اللاتي تخدعهن المظاهر البراقة ، والصور الزائفة : أن التفتوا إلى الجوهر الباقي، وهو الدين والخلق، فهما مصدر السعادة في الدنيا والآخرة .

هذه بعض الدروس التي لاحت لي من هذين الموقفين اللذين أشار إليهما القرآن الكريم من خلال قصة ابنتي الرجل الصالح مع موسى عليه السلام أردت أن أذكر بها النساء المسلمات في عصرنا الحاضر ؛ ليكن لهن في هاتين الفتاتين الصالحتين خير قدوة وأسوة ، وبقي لنا جانباً آخر في شخصيتهما وهو الجانب الاقتصادي المتعلق بعمل المرأة خارج البيت ، وهو ما سأتحدث عنه في المبحث الآتي – بمشيئة الله تعالى- .

المبحث الثالث

بناء شخصية الفتاة المسلمة من الناحية الاقتصادية كما توضحه الآيات

المطلب الأول : الجانب الاقتصادي في شخصية ابنتي الرجل الصالح

منح الإسلام المرأة حقوقها الاقتصادية كاملة فأعطاها حق الملكية الخاصة لأموالها تتصرف فيها كيفما تشاء لا يحجر عليها أحد فيها ، ولو كان أبوها أو زوجها ، فتستطيع أن تبيع وتشتري، وتأخذ وتعطي، وتهب وتوصي، وتهدي وتتصدق، وترث وتورث ، وهذا دليل على أهليتها الاقتصادية الكاملة، وذمتها المالية المستقلة في الشريعة الإسلامية .

قال ﷻ ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾ النساء: ٧ وقال ﷻ : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ ﴾ النساء: ٤

ومع هذه المكانة الاقتصادية التي حظيت بها المرأة في الإسلام، لا يزال بعض العلمانيين والتغريبيين يثيرون لغطاً حول بعض القضايا في الجانب الاقتصادي من حياة المرأة في الإسلام، ومنها قضية عملها خارج البيت ، فهناك من يتهم الإسلام بأنه منع المرأة من العمل ، وأنه عطل طاقتها ، وأهدر كرامتها ، وحرم المجتمع من جهود نصف أفراده إلى غير ذلك من التهم التي تلقى جزافاً على الإسلام وهو منها بريء .

وقد أشبع العلماء هذه القضية بياناً وتفصيلاً، وبينوا عظمة الإسلام في تشريعه للمرأة ما يكفل سعادتها وراحتها، وما يحقق للمجتمع استقراره وأمنه، ولا يتسع المقام لتوضيح ذلك وبيانه، وإنما يكفي أن نعرض موقف ابنتي الرجل الصالح من هذه القضية لكي تبين لنا حقيقة موقف الإسلام من عمل المرأة ؛ لكون القرآن الكريم قدم لنا أنموذجاً لامرأتين مارستا العمل خارج بيتهما .

يقول الشيخ الشعراوي –رحمه الله-: " إن عمل المرأة في الإسلام بينه لنا القرآن الكريم في قصة شعيب (الرجل الصالح) وموسى عليه السلام فيجب علينا أن نتأمل القصة ونتدبر فيها ." (١)

وعند عرض القصة والتأمل فيها تتضح لنا عدة حقائق تبين موقف الإسلام من عمل المرأة، وذلك على النحو الآتي :

أولاً : الأصل أن المرأة في الإسلام مكفولة من الرجل إلا إذا كانت هناك ظروف طارئة .

"لقد خفض الإسلام للمرأة جناح الرحمة والرعاية، في أمر الأعباء الاقتصادية، فكفل لها من أسباب الرزق ما يصونها عن التبذل، ويحميها من عناء الكدح في الحياة، فأعفاها من كافة أعباء المعيشة، وألقاها على كاهل الرجل، وهذه النفقة حق للمرأة ونصيب مفروض في ماله، وليست تفضلاً أو منّة منه، فلا يسعه تركها مع القدرة." (٢)

قال ﷻ ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ النساء: ٣٤ ومعنى قوامين :"أي يقومون بالنفقة عليهن والذب عنهن ." (١)

---

(١) المرأة في القرآن ص ١١٩ ط. دار أخبار اليوم القاهرة بدون رقم الطبعة ولا تاريخ الطبع .

(٢) عمل المرأة ، رؤية شرعية د. فؤاد بن عبدالكريم العبدالكريم ص ٤ http://www.saaid.net

وهذه القوامة ترجع إلى أن الله ﷻ فضل الرجل بالقوة البدنية والنفسية مما يجعله قادراً على العمل الشاق وتحمل الصعاب، وفضله –أيضاً– بالنفقة على النساء، وهذا تفضيل تكليف يجعله يضحي براحته في سبيل اكتساب المال الذي سينفقه على أمه وزوجته وبناته وأخواته.

يقول الشيخ أبو زهرة –رحمه الله–: " والسبب الثاني في القوامة والرعاية والحفظ والصيانة هو ما عبر الله سبحانه وتعالى عنه بقوله: (وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)، وذلك لأن تكليف الرجل بالإنفاق، وجعله حقا للمرأة عليه، يجعله مكلفا أيضا أن يرعاها ويصونها؛ إذ إن ذلك التكليف استوجب أن يكون عمل المرأة داخل المنزل، وعمل الرجل خارجه؛ فهي عاكفة على شئون الأطفال وإعداد البيت ليكون جنة الحياة، وهو مكلف رعاية الجنة وحمايتها وصيانتها." (٢)

وإذا تأملنا في القصة التي معنا نجد أن ابنتي الرجل الصالح خرجتا إلى العمل حين وصل أبوهما إلى مرحلة الشيخوخة ، وعجز عن القيام بأعباء العمل ،كما أخبر القرآن عن قولهما (وأبونا شيخ كبير) وبمفهوم المخالفة أن أباهما لو كان قادراً على العمل ، لكفاهما العمل الخارجي ، وقام بتدبير كل ما يحتاجانه دون أن يضطرا إلى الخروج إلى العمل ، وهذا يؤكد لنا الأصل الذي نتحدث عنه وهو أن المرأة مكفولة من الرجل طيلة عمرها، إلاّ إذا كانت هناك ظروف طارئة تجعل المرأة كافلة، وليست مكفولة فهذا استثناء من الأصل كحال ابنتي الرجل الصالح في سورة القصص .

ثانياً : المرأة في الإسلام تعمل بكل طاقتها وجوارحها داخل بيتها ، وهو عمل ذو مردود اقتصادي كبير .

خلق الله ﷻ الإنسان من نوعين مختلفين (الذكر والأنثى) ليؤدي كل واحد منهما مهمة في الحياة تختلف عن مهمة الآخر ، فالرجل يكدح ويشقى لتحصيل الرزق خارج البيت ، والمرأة تتحمل آلام الحمل والولادة وتربية الأولاد ورعاية الزوج داخله، وبذلك تتكامل مهمتهما ، ويتعاونا معاً في تحقيق السعادة والاستقرار لهما وللمجتمع من حولهما . ولو كانت مهمتهما واحدة لكان خلْقُهما على نوعين عبثاً ، والله ﷻ منزه عن أن يخلق خلقاً عبثاً بلا مهمة خاصة ومحددة.

قال ﷻ : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ الأعلى: ١ – ٣

فعمل المرأة الأصلي الذي خلقها الله ﷻ من أجله رعاية الأسرة والقيام بشئونها ، وهو عمل ليس بالهين واليسير ، وله مردود اقتصادي هائل على الأسرة ، وإن كان بعض ممن ينادون بالمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة يهونون من شأنه ، بل يحتقرونه ويعدونه لاشيء، ويمكن أن تقوم به الخادمة أو المربية .

يقول برناردشو: "إن العمل الذي تنهض به النساء هو العمل الذي لا يمكن الاستغناء عنه، هو حمل الأجنة وولادتها... لكنهنّ لا يؤجرون على ذلك بأموال نقدية، وهذا ما جعل الكثير من الحمقى ينسون أنه عمل على الإطلاق" (٣)

"وقد قامت مؤسسة مالية في الولايات المتحدة بدراسة عمل الأم في المنزل (كالتربية، والطبخ، والإدارة المالية، والعلاج النفسي للأسرة..إلخ)، ومحاولة تقديره بحسابات مادية على الورق، فوجدت أن الأم تستحق أجراً سنوياً يصل إلى ٥٠٨ ألف

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٦٨مرجع سابق .

(٢) زهرة التفاسير ٣/ ١٦٦٨ ط . دار الفكر العربي بالقاهرة بدون تاريخ .

(٣) المرأة والتغريب للشيخ صالح بن حميد ص ١٢ ضمن دروس ومحاضرات للشيخ قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

دولار، وقال المحلل المالي لهذه المؤسسة: حيث إن الأم تعمل ٢٤ ساعة مستمرة يومياً، توصلنا إلى أنها تستحق أجر وقت دائم سنوي، يساوي أجر ١٧وظيفة مهمة" (١)

وفي القصة التي معنا نجد ابنة الرجل الصالح تتوق إلى عملها الأصلي ومهمتها الأساسية في البيت، فتنتهز فرصة وجود الرجل القوي الأمين ؛ لكي توكل إليها ما بيدها من عمل استثنائي لتعود إلى عملها الأصلي ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص: ٢٦

يقول د / محمد مطني : " ومما يدلل على أنهن مارسن عمل السقي للضرورة طلب إحدى البنات من أبيها أن يستأجر سيدنا موسى عليه السلام ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ فهذه الآية تبين أنها كانت متحرجة جداً من العمل، ولكنها مضطرة للعمل لعدم وجود البديل، فحال توفر البديل طلبت من أبيها استئجاره ليقوم بمهمة السقي بدلاً عنهما ."(٢)

ويقول الشيخ الشعراوي : " وفي قولها { يا أبت استأجره }دليل على أنها لم تعشق الخروج للعمل ، إنما تطلب مَنْ يقوم به بدلاً عنها ؛ لِتقَّر في بيتها ." (٣)

فقد أعلنت ابنة الرجل الصالح هنا عن الفطرة الصافية للنساء في حب القيام بالعمل الملائم لها ، وهو عمل البيت ورعاية الأسرة ، ولم تفعل كما تفعل بعض النساء اليوم حينما تكابر وتعارض فطرتها وطبيعتها بالاستمرار في العمل الخارجي من غير ضرورة ملحة؛ لتثبت ذاتها ومكانتها –كما يقلن – ، وهذا من تسويل وتزيين شياطين الأنس والجن للنساء لكيلا يرجعن إلى بيوتهن ، فتفسد خطتهم في التمتع الحرام بهن، واستخدامهن لإضلال المجتمع وإفساده .

ثالثاً : للمرأة أن تخرج للعمل خارج بيتها عند الضرورة المتعلقة بها أو بالمجتمع .

الإسلام دين يمتاز بالواقعية ، فلم يفرض على المرأة أن تظل حبيسة طول عمرها في بيتها لا تخرج منه، أو كما يروج قليلو العلم أن المرأة لا تخرج إلا ثلاث مرات من رحم أمها إلى الدنيا، ومن بيت أبيها إلى بيت زوجها، ومن بيت زوجها إلى قبرها.

بل أذن الإسلام للمرأة أن تخرج لحاجتها بنص حديث النبي ﷺ : " إن الله ﷻ قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن "(٤)

وأما قوله ﷻ ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٣

فمعنى الآية الكريمة كما يقول الإمام ابن كثير –رحمه الله– : إلزمن بيوتكن ولا تخرجن لغير حاجة "(٥)، وهذا معناه أن يكون المكث في البيوت أحب إلى النساء من الخروج ، فلا تكون المرأة خراجة ولاجة

---

(١) عمل المرأة ، رؤية شرعية د. فؤاد بن عبدالكريم العبدالكريم ص ١٥ مرجع سابق.

(٢) سورة القصص دراسة تحليلية ص ٣٩٢مرجع سابق .

(٣) تفسير الشعراوي ١٧/ ١٠٩٠٦ مرجع سابق .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله (لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ...)٦/١٢٠ ، صحيح مسلم ،كتاب السلام ، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان ٤/ ١٧٠٩ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٦/٤٠٩ مرجع سابق .

قال الألوسي –رحمه الله– : " قد جاء في الحديث الصحيح أنه –عليه الصلاة والسلام– قال لهن بعد نزول الآية : { أَذِنَ لَكن أن تخرجن } فعلم أن المراد الأمر بالاستقرار الذي يحصل به وقارهن وامتيازهن على سائر النساء بأن يلازمن البيوت في أغلب أوقاتهن ، ولا يكن خراجات ولاجات، طوافات في الطرق والأسواق وبيوت الناس ." [(١)]

ويشير صاحب الظلال إلى هذا المعنى بقوله :"هي إيماءة لطيفة إلى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن، وهو المقر وما عداه استثناء طارئاً لا يثقلن فيه ولا يستقررن. إنما هي الحاجة تقضى وبقدرها. والبيت هو مثابة المرأة التي تجد فيها نفسها على حقيقتها كما أرادها الله ﷻ. غير مشوهة ولا منحرفة، ولا ملوثة، ولا مكدودة في غير وظيفتها التي هيأها الله لها بالفطرة ." [(٢)]

وفي القصة التي معنا وصف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ابنة الرجل الصالح بقوله : " ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة " أي ليست بامرأة بذيئة قبيحة من النساء ، وليست بامرأة كثيرة الخروج والدخول من بيتها .

ومما يدل على أنهما (أي الفتاتين) لم تعشقا الخروج ، وإنما خرجتا مضطرتين : أنهما أخبرتا والدهما بخبر موسى ﷺ معهما، ولو أنهما عشقتا الخروج ومغادرة البيت لأخفيتا عنه هذه القصة لتخرجا كل يوم لسقاية الماشية، ولكن لأنهما فعلتا ذلك، وهما كارهتان أخبرتا والدهما بما حدث . [(٣)]

ولكن مع عدم حبهما للخروج والدخول اضطرتهما الضرورة للخروج للعمل، فما هذه الضرورة التي دفعت ابنتي الرجل الصالح للخروج من البيت ؟ :

١- عدم وجود من يكفيهم هذا العمل الضروري ، وقد صرح القرآن الكريم بذلك على لسان الفتاتين حين قالتا { وأبونا شيخ كبير} " أي : وما لنا رجل يقوم بذلك ، وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به : أبلتا إليه عذرهما في توليهما السقي بأنفسهما . "[(٤)]

فكأن مفهوم المخالفة أن لو كان عندنا رجل يقوم مقامنا، ويسقي لنا ، أو لو كان أبونا قادرا على العمل لما وجدتنا هنا خارج البيت نستقي الماء .

فهاتان الضرورتان هما اللتان دفعتا ابنتي الرجل الصالح إلى الخروج للعمل خارج البيت ، وهما ضرورتان تتعلقان بأنفسهما وأسرتهما، وهناك نوع آخر من الضرورة يسمح للمرأة بالعمل خارج البيت وهي الضرورة المتعلقة بالمجتمع : أي يكون المجتمع في حاجة إلى خروج المرأة من بيتها للعمل في مهنة الأصل أن تقوم بها النساء كتعليم النساء، وتطبيبهن، وتمريضهن، ووعظهن ودعوتهن إلى الخير ونحو ذلك من الأعمال المتعلقة بالنساء .

يقول د/ فؤاد العبد الكريم : " هناك مصلحة عامة تستدعي عمل المرأة، مثل أن يكون عملها من قبيل فروض الكفاية، كتدريس بنات جنسها ووعظهن، ومعالجتهن، أو أي عمل آخر يتطلب تقديم خدمة عامة للنساء." [(٥)]

رابعاً : وضع الإسلام ضوابط عند وجود ضرورة لعمل المرأة خارج بيتها .

(١) روح المعاني ٩/٢٢ مرجع سابق .

(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٧٨ مرجع سابق .

(٣) المرأة في القرآن ص ١٢٤ مرجع سابق.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٠٦ مرجع سابق .

(٥) عمل المرأة ، رؤية شرعية ص ١٦ مرجع سابق.

إذا دعت الضرورة الحياتية أو المجتمعية المرأة أن تخرج من بيتها، وتترك عملها الأصلي لتعمل في أعمال أخر ، فإن الإسلام لم يترك المرأة حرة أن تعمل ما تشاء كيفما تشاء. بل وضع لها الضوابط اللازمة من أجل حمايتها أولاً ، وحماية المجتمع من أن يستغلها البعض في الإساءة إليه وإفساده ثانياً ، ولكي يحقق عملها الثمرة المرجوة منه آخراً ، وهذه الضوابط تتمثل في ما يأتي :

١- أن يكون العمل في أصله مباحاً .

يشترط الإسلام للعمل أياً كان العامل رجلاً أم امرأة أن يكون العمل مما أباحه الإسلام ، وليس من الأعمال المحرمة ، فلا يجيز الإسلام للرجل أو للمرأة – على سبيل المثال- بيع الخمور وحملها وتقديمها، ولا التعامل في المؤسسات الربوية، وكذلك لا يجيز الإسلام للمرأة أن تعمل في الرقص والغناء والتمثيل ونشر الفاحشة والرذيلة في المجتمع ونحو ذلك من الأعمال المحرمة .

وإذا نظرنا في حال ابنتي الرجل الصالح وجدناهما خرجتا إلى عمل مباح شرعي وهو رعي الأغنام وسقي الماء ، ولم تخرجا إلى عمل محرم

٢- مناسبة العمل لطبيعة المرأة .

وقد أهَّل الله ﷻ كلا النوعين الذكر والأنثى بما يتناسب مع طبيعة عمله المكلف بها ، فجاء الرجل أشد قوة وأكثر صبراً وتحملاً ليتناسب ذلك مع طبيعة الكدح والتعب والشقاء في طلب الرزق ، وجاءت المرأة أكثر حناناً وعاطفة لتتناسب مع مهمتها الأصلية في الأمومة ورعاية الزوج .

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ النساء: ٣٢

قال أبو السعود–رحمه الله- : "لكلٍّ من الفريقين نصيب خاصّ به من الأجر يترتّب على عمله، فللرجال أجر بمقابلة ما يليق بهم من الأعمال كالجهاد ونحوه، وللنساء أجر بمقابلة ما يليق بهن من الأعمال كحفظ حقوق الأزواج ونحوه، فلا تتمنى النساء خصوصية أجر الرجال، وليسألنّ من خزائن رحمته تعالى ما يليق بحالهنّ من الأجر."[(١)]

وقد جاء الطب الحديث وعلم وظائف الأعضاء؛ ليشير إلى هذه الاختلافات بين الرجل والمرأة حتى إن هذا أصبح مسلمًا به ولا ينكره إلا مكابر.

يقول د/ محمد علي البار : " أثبتت الدراسات الطبية المتعددة أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله –تعالى- على هيئة تخالف تكوين الرجل ، وقد بني جسم المرأة ليتلاءم مع وظيفة الأمومة ملاءمة كاملة ، كما أن نفسيتها قد هيئت لتكون ربة أسرة وسيدة البيت." [(٢)]

ومن ثم يجب مراعاة هذه الفروق بين الذكر والأنثى عند اختيار المرأة للمجال التي تدفعها الضرورة للعمل به ؛ لأن هناك من الأعمال ما لايتناسب مع تكوينها الجسدي والنفسي مثل: العمل في تنظيف الشوارع العامة، وبناء العمارات، وشق الطرق، والعمل في مناجم الفحم، وغيرها من الأعمال الشاقة، فلا يجوز لها أن تمارسها؛ لأن ممارستها تعد عدواناً على طبيعتها وأنوثتها، وهذا لا يجيزه الإسلام.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١٧٢/٢ ط .دار إحياء التراث العربي – بيروت بدون تاريخ .

(٢) عمل المرأة في الميزان ص ٣٨ ، وانظر الفصل الثالث من الكتاب ط .موقع صيد الفوائد www.saaid.net

وإذا عدنا إلى قصة ابنتي الرجل الصالح في سورة القصص وجدنا حديث القرآن الكريم عن عمل المرأتين في رعي الدواب وسقي الماء هو من الأعمال المتفقة مع طبيعة المرأة وتكوينها ، وكانت المرأة معتادة على هذا العمل من قديم الزمان حتى عصرنا الحالي في البادية والريف ، ويدل على هذا أحاديث كثيرة في السنة النبوية منها: حديث سعد بن معاذ أن جارية لكعب بن مالك كانت ترعى غنما بسلع (جبل بالمدينة) فأصيبت شاة منها فأدركتها فذبحتها بحجر فسئل النبي ﷺ فقال (كلوها) [(١)]

٣- عدم الاختلاط المحرم بالرجال مع غض البصر .

من الشروط التي وضعها الإسلام للمرأة عند خروجها للعمل أن تبتعد عن الاختلاط بالرجال ، لأن هذا الاختلاط المحرم سيؤدي إلى ضرر عظيم بها ، وبالمجتمع من حولها ، وقد تناولت الحديث عن الاختلاط في المبحث السابق —

وهنا أقول : إذا كان الإسلام قد منع اختلاط النساء بالرجال في أعظم عبادة يكون فيها الإنسان متصلاً بربه وهي الصلاة ، فجعل صفوفاً خاصة للنساء بعيدة عن صفوف الرجال ، وجعل خير صفوف النساء آخرها ، وخير صفوف الرجال أولها ليباعد بينهما، مع أن الصلاة فيها شغل عن الدنيا وما فيها فكيف بغيرها من الأعمال الدنيوية!

وهنا يوضح لنا القرآن الكريم التزام ابنتي الرجل الصالح بهذا الشرط حينما تنحيتا بعيداً عن الرعاة ، وكانتا تذودان دوابهما عن الاختلاط بدواب القوم، "ففي قوله تعالى :{لاَ نَسْقِي حتى يُصْدِرَ الرعآء} إشارة إلى أن المرأة إذا اضطرتْ للخروج للعمل، وتوفرْت لها هذه الضرورة عليها أنْ تأخذَ الضرورة بقدرها، فلا تختلط بالرجال، وأنْ تعزل نفسها عن مزاحمتهم والاحتكاك بهم، وليس معنى أن الضرورة أخرجتْ المرأة لتقوم بعمل الرجال أنها أصبحتْ مثلهم، فتبيح لنفسها الاختلاط بهم." [(٢)]

لذا {قَالَتَا لاَ نَسْقِي} ولا نزاحم؛ لأن المزاحمة تقتضي الاختلاط بالرجال وملاحقتهم، وهو أمر ينقص من قدر المرأة، ويذهب بحيائها؛ بل ننتظر في مكاننا هذا البعيد عن الماء {حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَآءُ} أي حتى يرجع الرعاة بعد سقيهم . [(٣)]

٤- التزام المرأة باللباس الشرعي الذي أمر به الإسلام.

يوجب الإسلام على المرأة إذا خرجت من بيتها لحاجة من عمل أو غيره ، أو قابلت رجلاً اجنبياً عنها أن تلتزم باللباس الشرعي الذي حدده الإسلام ، والذي يجب ان تتحقق فيه عدة شروط وهي :١ ((- استيعاب جميع البدن إلا ما استثني - ٢ - أن لا يكون زينة في نفسه . ٣ - أن يكون صفيقا لا يشف ٤ - أن يكون فضفاضا غير ضيق . ٥ - أن لا يكون مبخرا مطيبا . ٦ - أن لا يشبه لباس الرجل ٧ - أن لا يشبه لباس الكافرات .٨ - أن لا يكون لباس شهرة .)) [(٤)]

وفي القصة التي معنا يذكر لنا الإمام الزمخشري —رحمه الله- قولاً في تفسير قوله ﷻ (تذودان) بأنهما كانتا تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما. ويصف لنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حال إحداهما وقد جاءت إلى موسى عليه السلام لتبلغه رسالة أبيها بقوله ﷺ : " جاءت واضعة ثوبها على وجهها " فلله درُّهما في تسترهما والتزامهما بالحجاب الشرعي .

٥- ألا يضر عملها بأسرتها أو بالمجتمع من حولها .

---

(١) صحيح البخاري كتاب الذبائح والصيد باب ذبيحة المرأة والأمة ٥/ ٢٠٩٦.

(٢) تفسير الشعراوي ١٠٩٠٥/١٧ مرجع سابق .

(٣) أوضح التفاسير ص ٤٧١ مرجع سابق .

(٤) راجع جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة للشيخ الألباني ص ٣٩-٢١٦ طبعة : المكتبة الإسلامية عمان - الأردن الطبعة الأولى / ١٤١٣ هـ

العمل الرئيس للمرأة كما سبق أن ذكرت هو عملها في بيتها في رعاية زوجها وأولادها ، والاستثناء من هذا العمل هو ترك المرأة لبيتها ومملكتها لكي تزاول عملاً خارجياً هي مضطرة إليه ، أو المجتمع في حاجة إليه ، ولا يصح أن يطغى الاستثناء على الأصل ، فإذا كان عمل المرأة سيأتي على حساب أمومتها وحياتها الزوجية، وسيضر بهما، فلا يجوز هذا العمل في الإسلام ، ويجب على المرأة أن تعود سريعاً إلى عملها الأساس في رعاية أسرتها . قال ﷺ : " والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها "[١]

كذلك إذا كان عمل المرأة سيجر إلى مفاسد وأضرار بالمجتمع كأن يؤثر – على سبيل المثال- على دور المرأة في إنجاب الأولاد مما يهدد المجتمع بالانقراض ، وقد حث الإسلام على كثرة النسل فقال ﷺ " تزوجوا الودود الولود فإني مباه بكم الأمم " ، أو يؤثر على الاستقرار الاجتماعي حين تشيع البطالة بين الشباب من كثرة مزاحمة النساء في أعمال الرجال ، لذا خرجت دعوات تنادي برجوع المرأة العاملة إلى بيتها في مقابل ربع الراتب، أو نصفه لحل مشكلة البطالة لدى الشباب .

وفي قصتنا نجد أن ابنتي الرجل الصالح لم يكونا متزوجتين ، وكان أبوهما شيخ كبير لكن كان لديه من البنات الصغيرات من يخدمنه ويقمن على رعايته ، كما فهم بعض المفسرين من قوله – تعالى- : " إحدى ابنتي هاتين " فكلمة هاتين دلت أن له بنات أخريات غيرهما. ومن ثم لم يؤثر عملهما على رعايتهما لأسرتهما ، ولم يترتب على عملهما ضرر اجتماعي .

٦– أمن الفتنة .

من الشروط التي وضعها الإسلام للمحافظة على المرأة حينما تضطر للخروج للعمل أن تأمن الفتنة على نفسها وأولادها ، فإذا كان الزمان يكثر فيه الهرج والقتل، فلا يجوز أن تعرض المرأة نفسها للخطر بخروجها وسط غياب الأمن وعموم الفوضى ، كذا إذا كانت تعول أولادها وخشيت عليهم من الضياع، أو التعرض لمكروه مادي أو اجتماعي كالانحراف ، فلا يجوز أن تخرج للعمل، ويجب على أهلها والمجتمع أن يقوموا بسد حاجاتها ورعايتها هي ومن تعول.

كذلك إذا كانت في عمل ستضطر فيه إلى الاختلاط بالرجال يجب عليها، وعلى جميع النساء المسلمات أن ينحزن إلى بعض ويتنحين جانباً بعيداً عن الاحتكاك بالرجال حتى لا تحدث الفتنة بينهم ، فقد قال ﷺ : " ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء "[٢]

ويجب على الدولة أن تمنع هذه الفتنة، وتساعد الرجال والنساء في الابتعاد عنها بتخصيص أماكن خاصة للنساء في الأعمال الموكلة إليهن ، وكذا وسائل مواصلات خاصة ، ونحو ذلك .

وفي القصة التي معنا نجد ابنتي الرجل الصالح يخرجان معاً في الرعي والسقي ، وذلك لوجود عدد كبير من الرعاة حتى تأنس إحداهما بالأخرى ، أو تدافع إحداهما عن الأخرى الأذى إن حاول أحد الرجال مضايقتها،[٣] ولكن نلاحظ أن الرجل الصالح حين بعث في طلب موسى عليه السلام ، وهو رجل واحد بعث بابنة واحدة ، ولم يرسل الاثنين معاً ، وذلك – والله أعلم- لأمرين :

---

(١) صحيح البخاري كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ١/٣٠٤ .

(٢) صحيح البخاري كتاب النكاح ، باب ما يتقى من شؤم المرأة ٥/١٥٩٥ صحيح مسلم كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ٨/٨٩ .

(٣) يذكر الشيخ الشعراوي –رحمه الله- أن خروج الفتاتين معاً لتراقب إحداهما الأخرى حتى لا تنحرف (المرأة في القرآن ص ١٢١) ، وأستبعد ذلك على حال الفتاتين والتربية الصالحة اللتين نشاتا عليهما في هذا البيت الصالح ، وكذا الأخلاق الفاضلة التي حدثنا القرآن عنها لديهما .

الأول: أن الطريق مأمون وعامر بالمارة ، والعمل المكلفة به بسيط يسير، وهو إيصال رسالة في وضح النهار أمام الكافة لرجل واحد.

الثاني : لما سمع الرجل الصالح عن أخلاق موسى عليه السلام من ابنتيه علم ما لديه من أمانة وخلق حسن، فاطمأن إليه؛ لذا أرسل إحدى البنتين، ولم يرسل الاثنين معاً .

يقول الشيخ الشعراوي –رحمه الله-:" ولأن موسى عليه السلام سقى للفتاتين ، ولم يأخذ منهما أجراً ، ولم يكلمهما . هذا السلوك جعل (الرجل الصالح) يحس أن موسى عليه السلام فيه إيمان وأمانة؛ لهذا أرسل واحدة فقط من بنتيه لكي تستدعي هذا الرجل الأمين لكي يعطيه أجره . ولو أن موسى عليه السلام نظر إليهما أو حدثهما أو حاول أن يبدأ كلاماً معهما ، أو قال أريد أجري لبعث الرجل الصالح بالفتاتين معاً ، ولكن أمانة موسى جعلت هناك ثقة فيه وإحساساً بأنه إنسان مؤمن ومؤتمن وأمين ." [(١)]

٧- الالتزام بالآداب الإسلامية في الخروج والمشي والكلام والحركة .

يجب على المرأة عند خروجها مضطرة للعمل أن تلتزم بالآداب الإسلامية في كلامها وحركاتها وسلوكها العام، فلا تخضع بالقول فضلاً عن أن تصدر منها الضحكات والغمزات واللمزات ونحوها . قال جل جلاله ﴿ **فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾** ﴾ الأحزاب: ٣٢. ، ولا يجوز لها أن تتكسر في مشيتها ، أو تضرب الأرض برجلها ليلتفت إليها ، ولتعلم زينتها . قال عز وجل ﴿ **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾** ﴾

وقد حرصت ابنتا الرجل الصالح على الالتزام بهذه الآداب ليكونا قدوة للمسلمات إلى آخر الدهر، فوصف لنا القرآن الكريم مشية إحداهما وكلامها مع موسى عليه السلام وصفاً دقيقاً دالاً على شدة تمسكها بهذه الآداب . قال جل جلاله :﴿ **فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾** ﴾ القصص: ٢٥

قال الزجاج : " أي تمشي مَشْيَ مَنْ لم تَعْتَدِ الدخول والخروج مُتَخَفِّرَةً مستحيية." [(٢)]

وقد سبقت أن وقفت عند أخلاق الفتاتين في المبحث الأول من هذا البحث بما يغني عن إعادة الكلام فيه هاهنا .

٨- موافقة ولي أمر المرأة .

كلف الإسلام الرجل بحمل مسئولية رعاية المرأة والقيام على شئونها حتى يحميها ويدافع عنها ، ويجعلها تقوم بأنبل مهمة في الوجود وهي مهمة الأمومة ، ولكي تكتمل هذه المسئولية التي في عنق الرجل نحو المرأة يجب عليها إذا اضطرت للخروج إلى العمل أن تستأذن ولي أمرها حماية لها أولاً ، ورعاية لحقه ثانياً .

قال صلى الله عليه وسلم : " لا يحل لامرأة أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره ولا تخرج وهو كاره " [(٣)]

---

(١) المرأة في القرآن ص ١٢٤- ١٢٥ مرجع سابق .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٤٠ ط. عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م بتحقيق د/ عبد الجليل شلبي

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٦٢/٢٠ وقال الهيثمي : رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات (مجمع الزوائد ٤/ ٥٧٣)

ونرى في قصة ابنتي الرجل الصالح إذن الأب واضحاً وضوح الشمس، فقد خرجت الفتاتان للرعي والسقي بعلمه ورضاه، لذا استجاب الأب سريعاً لمشورة ابنته حين طلبت منه استئجار موسى عليه السلام ليقوم بالعمل مكانهما ، وهذا دليل آخر على كونه كان عالماً وراضياً بعملهما الأول في رعي الدواب .

هذه هي شروط خروج المرأة إلى العمل ، ونلاحظ أن ابنتي الرجل الصالح قد طبقتا هذه الشروط تطبيقاً كاملاً ، ولم تفرطا في واحد منها قيد أنملة ، وهما بهذا يردان على من يتهم الإسلام بتعقيد المرأة عند خروجها للعمل ، وتكليفها ما لاتطيق .

خامساً : على المجتمع أن يساعد المرأة المضطرة للخروج للعمل .

من الملامح المفيدة في قصة ابنتي الرجل الصالح في سورة القصص ، والتي تتعلق بموقف المجتمع الذي تضطر فيه بعض النساء إلى ترك بيوتهن والخروج لمزاولة أعمال خارجية أن المجتمع يجب أن يمد يد العون والمساعدة لهؤلاء النسوة العاملات ، وذلك عن طريق أمور كثيرة منها : أن تعطى ساعات عمل أقل – أن تبدأ عملها بعد الرجال وتنتهي قبلهم ؛ لكيلا تتعرض للمزاحمة معهم في الطرقات والمواصلات — أن توفر لهن مواصلات خاصة- أن تجعل لهن أماكن خاصة في العمل- ألا يكلفن بأعمال إضافية في البيت- أن يسمح لهن بأجازات طويلة الأجل بدون راتب — أن تنشأ لهن الحضانات الملحقة بأماكن عملهن .... وغير ذلك من وجوه التيسيرات على المرأة العاملة . ويمكن لنا أن نستنبط هذا المعنى من موقف موسى عليه السلام من ابنتي الرجل الصالح، " فموسى عليه السلام عندما وجد امرأتين بلا رجل مضطرتين للعمل قام هو بالمهمة فأخذ الماشية وسقاها بدلاً عنهما، وهذه هي مهمة المجتمع الإسلامي إنه إذا اضطرت المرأة للخروج للعمل على الرجل أن يقضي لها مهمتها بسرعة ، فهذه هي المهمة الإيمانية التي قام بها موسى عليه السلام ." [1] قال ﷻ ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ القصص: ٢٤

سادساً : إذا انتهت حالة الضرورة رجعت المرأة إلى عملها الأصلي وهو البيت .

من واجب المرأة أن تعلم أن الضرورة تبقى ما بقيت أسبابها، لذا يقول علماء القواعد الفقهية (الضرورة تقدر بقدرها) يعنون بذلك عدم مجاوزة قدر الضرورة ، وقد ظهر لنا من خلال النقاط السابقة : أن نظرة الإسلام إلى عمل المرأة خارج بيتها وخارج مهمتها الأساسية في رعاية زوجها وأولادها استثناء من الأصل ، وضرورة تفرضها ظروف الحياة على بعض النسوة ، أو يفرضها المجتمع في مهن بعينها تخدم بها المرأة بنات جنسها، وتخدم بها المجتمع وتصلح من شأنه .

وهذا يجعلنا نذكِّر المرأة المسلمة بأن هذه الضرورة لا تبيح لها الاستمرار في العمل إذا انتفت أسبابها :كأن يفتح الله ﷻ على ولي أمرها بفضل وسعة من عنده تغنيه عن حاجته إلى عملها، أو ترزق المرأة بزوج يكفلها وينفق عليها، أو يكفلها وأولادها ، أو تعطيها الدولة أو الجمعيات الخيرية وأهل الخير ما يكفل لها ولمن تعولهم الحياة الكريمة ، أو تجد المرأة من الرجال الأكفاء الأمناء من يستطيع أن يسد مسدها في عملها، ويعود الأجر المادي عليها. ففي هذه الحالات وأمثالها يجب على المرأة المسلمة أن تعود سريعة إلى مهمتها الأصلية في رعاية زوجها وأولادها والقيام على شئون أسرتها ، ولا تقولنّ كما تقول بعض النسوة اليوم : لا أستطيع ترك العمل فقد أدمنته ، وأصبح جزءاً لايتجزأ من حياتي ، فتظل تخرج للعمل بلا ضرورة ولا اضطرار .

---

(١) المرأة في القرآن ص ١٢٢ مرجع سابق .

" إن خروج المرأة لتعمل كارثة على البيت قد تبيحها الضرورة . أما أن يتطوع بها الناس وهم قادرون على اجتنابها ، فتلك هي اللعنة التي تصيب الأرواح والضمائر والعقول ، في عصور الانتكاس والشرور والضلال "[١].

وابنتا الرجل الصالح ضربت لنا وللمسلمات أروع الأمثلة في تقدير الضرورة حق قدرها ، وفي فهمهما أن عملهما خارج البيت ضرورة يجب ألا تتجاوز حدها ، فما أن وجدتا الرجل القوي الأمين الذي يمكن أن يقوم مكانهما في العمل حتى طلبتا من تلقاء أنفسهما الرجوع إلى مهمتهما الأصلية في البيت .

قال ﷻ :﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص: ٢٦

تريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت؛ امرأة عفيفة مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى . والمرأة العفيفة الروح ، النظيفة القلب ، السليمة الفطرة ، لا تستريح لمزاحمة الرجال ، ولا للتبذل الناشئ من هذه المزاحمة ... فهي تشير على أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك والتبذل ." [٢]

من خلال هذه النقاط الست تتضح لنا نظرة الإسلام إلى عمل المرأة، والتي تتمثل عملياً فيما حكاه لنا القرآن الكريم في سورة القصص من خلال قصة ابنتي الرجل الصالح ، وكأن القرآن الكريم يقول للمسلمات إلى قيام الساعة : هذا هو النموذج العملي الذي ينبغي عليكن أن تحتذينه في موقفكن من هذه القضية التي يستغلها بعض أعداء الإسلام ليشوهوا من خلالها تكريم الإسلام للمرأة . ولكي تستطيع الفتاة المسلمة اليوم أن تطبق هذا النموذج تطبيقاً عملياً في حياتها أذكّرها ببعض الدروس المستفادة من قصة ابنتي الرجل الصالح في هذا الجانب (عمل المرأة)، وذلك على النحو الآتي :

---

(١)في ظلال القرآن ٦/ ٧٨ مرجع سابق .

(٢)في ظلال القرآن ٥/٤٢٠. مرجع سابق .

المطلب الثاني : الدروس المستفادة من الجانب الاقتصادي في شخصية ابنتي الرجل الصالح

تعرفنا من خلال السطور السابقة على جانب مهم من جوانب حياة المرأة، وهو الجانب الاقتصادي في جزئية واحدة من جزئيات هذا الجانب ، وهي جزئية عمل المرأة ، وذلك من خلال شخصية ابنتي الرجل الصالح ، وقد قدمت لنا هاتان الفتاتان الصالحتان أنموذجاً واقعياً لكل ما تحتاج المرأة المسلمة اليوم معرفته في هذه القضية (عمل المرأة) ، ومن خلال التدبر في الآيات القرآنية التي تحدثت عنهما في هذا الجانب تظهر بعض الدروس المجملة المفيدة التي أود أن تقف عليها كل امرأة مسلمة ، وهذه الدروس جاءت على النحو الآتي :

أولاً : منح الإسلام المرأة جميع حقوقها الاقتصادية كاملة غير منقوصة ، فالمرأة المسلمة أينما كانت ، وفي أي زمن كانت تتمتع بالأهلية الاقتصادية الكاملة ، ولها ذمة مالية خاصة مثلها مثل الرجل .

ثانياً : ليس الجانب الاقتصادي في حياة المرأة مقصوراً على خروجها من بيتها للعمل كما يريد العلمانيون والليبراليون وغيرهم أن يوهموا المرأة المسلمة اليوم ، وإنما هذا جانب من جوانب حياتها الاقتصادية ، والإسلام تعامل مع هذا الجانب من خلال طبيعة المرأة الإنسانية والأنثوية ، فلم يجعلها الإسلام كماً مهملاً في الحياة لا عمل له ؛ لأنها إنسانة لها عقل مثلها مثل الرجل، وعندها قدرة على التفكير والحركة والانتاج ، وإنما أمرها الإسلام بإفراغ طاقتها الذهنية والبدنية في العمل المناسب لطبيعتها الأنثوية وهو صناعة الأجيال ، وإعداد الأبطال، وتدبير مملكة الأسرة، والقيام على شئونها ، وهو عمل –كما سبق أن ذكرت– ليس بالهين بل هو عمل شاق ، وإن كانت المرأة لا تطلب عليه أجراً ، لكن ينبغي أن نركز عليه، ونوليه اهتماماً كبيراً في هذا الجانب .

ثالثاً : من تكريم الإسلام للمرأة أنها في كفالة الرجل ، وتحت مسئوليته المعنوية والمادية ، وهذه الكفالة والمسئولية تكليف لاتشريف ، وعبء كبير يقع على عاتق الرجل ، وهذا من أجل تفريغ للمرأة لأداء عملها الأصيل داخل بيتها ومع أسرتها .

رابعاً : الإسلام يقدر الضرورات التي تمر بها المرأة في حياتها، فيبيح لها الخروج إلى العمل إذا اضطرت لذلك ، كأن لايكون لها عائل ، أو لها عائل عاجز عن الكسب ، ولا يوجد من يعولها من أهلها أو المجتمع، ولكن المرأة المسلمة يجب أن تفرق بين الاصل وهو عملها الفطري داخل أسرتها ، وبين الاستثناء فتقدر الضرورة حق قدرها ، وتوازن بين حاجة البيت إليها ، وحاجتها إلى الأجر المادي في الخارج ، فإذا احتاج البيت إليها ، أو وجدت من يقوم مقامها في العمل الخارجي، ويعود ذلك بالنفع عليها وجب أن تهرع إلي بيتها كما صنعت ابنة الرجل الصالح حينما وجدت من يكفيها العمل، فطلبت من أبيها استئجاره لتعود إلى مهمتها الأساسية في البيت.

خامساً : من الضرورات التي قدرها الإسلام في عمل المرأة خارج بيتها حاجة المجتمع إليها في الأعمال التي تستوجب وجودها كطبيبة النساء ، وتمريضهن ، وتزينهن فيجب وجوباً كفائياً أن تقوم بعض النسوة المسلمات بالتخصص في هذه الأعمال النسائية ؛ حتى تسد حاجة المسلمات إليهن ، وهذه الضرورة تقدر –أيضاً– بقدرها في نوع العمل المحتاج إليه ، وكفاية الموجود منهن في هذه الأعمال.

سادساً : وضع الإسلام شروطاً لخروج المرأة إلى العمل من أجل صيانة المرأة وحمايتها وإبعادها عن مواطن الريبة والفساد، وشأن المرأة المسلمة ألاّ تفرط في الالتزام بهذه الشروط ابتغاء رضا الله ﷻ أولاً ، وصيانة لنفسها عن الامتهان والابتذال ثانياً قدوتها في ذلك النموذج القرآني في ابنتي الرجل الصالح اللتين ما تركتا شرطاً من هذه الشروط إلاّ التزمتا به غاية الالتزام ، وفي هذا أبلغ رد على من يدعي صعوبة هذه الشروط ، أو استحالة تطبيقها .

سابعاً : أعطى الإسلام عمل المرأة بعداً اجتماعياً، حيث دعا المجتمع إلى الوقوف بجانب المرأة العاملة ومساعدتها بشتى وسائل المساعدة: كتهيئة الظروف المناسبة لها في العمل ، وإعانتها على أداء عملها خاصة إذا كانت قد خرجت للعمل مضطرة ، والتزمت بالشروط التي أوجبها الإسلام لعمل المرأة ، وقد أفدنا هذا الدرس من خلال موقف نبي الله موسى عليه السلام من ابنتي الرجل الصالح حين رأى ما عليهما من خلق حسن، وعلم ما بهما من حاجة واضطرار، فكفاهما سقى الدواب .

هذه بعض الدروس المستفادة من الجانب الاقتصادي في شخصية ابنتي الرجل الصالح ، والذي برزت فيه قضية مهمة من القضايا التي تلوكها الألسنة اليوم وهي قضية عمل المرأة ، وأحسب أن ما حكاه القرآن الكريم لنا من فهم وتطبيق ابنتي الرجل الصالح للشروط والآداب المتعلقة بهذه القضية قد قطع الطريق على كل مفترٍ أو حاقد يريد أن يطعن في الإسلام من خلال هذه القضية .

وبهذا الجانب الاقتصادي في شخصية ابنتي الرجل الصالح أكون قد وصلت إلى نهاية الحديث حول ما ظهر لي من جوانب شخصيتهما في الآيات التي تحدثت عنهما في سورة القصص، وبقي لي أن أودع هذا البحث بذكر خاتمته ، وذلك على النحو الآتي :

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً، سراً وعلانيةً ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً .   وبعد ،

فقد عشت في هذا البحث مع دراسة موضوعية لنموذج قرآني فريد يعبر عن بعض ملامح شخصية الفتاة المسلمة التي يريدها الإسلام في صورة ابنتي الرجل الصالح ، وقد تركزت ملامح هذه الشخصية في ثلاثة جوانب : الجانب الخلقي ، والجانب الاجتماعي ، والجانب الاقتصادي، ومن خلال معايشتي لهذه الجوانب الثلاث في شخصية ابنتي الرجل الصالح ظهرت بعض النتائج على النحو الآتي :

أولاً : جاءت آيات القرآن الكريم لتبني الإنسان وتصوغه صياغة إيمانية وحضارية جديدة يكون بها على قدر مهمة الاستخلاف في الأرض ، وخاصة آيات القصص القرآني التي تعطينا النموذج الحي المشاهد لما يأمر به الله ﷻ ، وما ينهى عنه، في جميع المواقف التي يمر بها الإنسان، وقد رأينا ذلك من خلال معايشتنا لقصة ابنتي الرجل الصالح مع نبي الله موسى عليه السلام في سورة القصص .

ثانياً : أخذت المرأة جانباً كبيراً من اهتمام القرآن الكريم ببناء الإنسان، فنجد أنماطاً متعددة لشخصيات نسائية مختلفة في مواقف حياتية متنوعة في القرآن الكريم ، وذلك لتأخذ كل امرأة مسلمة ما يناسبها من الدروس المستفادة من هذه الشخصيات النسائية القرآنية ، ومن بين هذه الشخصيات شخصية الفتاة التي تضطر لحمل عبء الأسرة ، وكيفية خروجها للعمل وتعاملها مع المجتمع خارج البيت في صورة ابنتي الرجل الصالح .

ثالثا: قدمت لنا الفتاتان الصالحتان صورة حية ملموسة لمجموعة من الأخلاق التي تحتاجها كل امرأة مسلمة في تعاملها مع والديها والمجتمع من حولها ، وهذه الأخلاق هي : (بر الوالدين – الحياء — الفطنة — الشجاعة الأدبية– الفصاحة).

رابعاً : تمثل سمة الوسطية سمة بارزة في شخصية ابنتي الرجل الصالح ، وقد ظهرت هذه السمة في أخلاقهما ، وفي تعاملهما مع المجتمع ، وفي نظرتهما لقضية عمل المرأة.

خامساً : من أعظم جوانب تكريم الإسلام للمرأة التي ظهرت في شخصية ابنتي الرجل الصالح جانب الثقة التي يمنحها الإسلام للمرأة ، فالأصل في المرأة في الإسلام الطهر والفضيلة والاستقامة ، والانحراف شيء طارئ عليها مثلها مثل الرجل، وقد ظهر ذلك جلياً فيما حكاه القرآن لنا من تصرفات وسلوكيات الفتاتين مع موسى عليه السلام ومع أبيهما ، وفي حديث موسى إليهما ورأفته بهما، وتصديقه لكلامهما .

سادساً : تجلي لنا القصة صورة الفطرة النقية ، والتعامل الإنساني الراقي بين أفراد المجتمع ، وهذا هو الهدف من التشريعات والضوابط والآداب التي يضعها الإسلام للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، فليس الهدف من هذه الضوابط والآداب التضييق على الناس وتعقيدهم . إنما الهدف هو الوصول إلى إقامة مجتمع نظيف المشاعر ، سهل التعامل ، حسن الأخلاق . وقد رأينا ذلك من خلال تعامل نبي الله موسى عليه السلام مع الفتاتين عند البئر ، وتعامل الفتاتين معه ، وتعامل الرجل الصالح مع موسى عليه السلام ، وتعامل الفتاتين مع والدهما .

سابعاً : وضحت لنا الآيات صورة واقعية لأصل من أصول الشريعة الإسلامية ، وهو التخفيف ورفع الأصر والحرج عن الناس ، فإذا ضاقت بهم الأمور، أو حلت بهم الضرورات فتح الشرع لهم باب التخفيف كحال الفتاتين عند خروجهما إلى العمل بسبب عدم قدرة أبيهما على العمل .

ثامناً : قدمت لنا الآيات تطبيقاً عملياً لقاعدة (الضرورة تقدر بقدرها) ، وذلك من خلال عدم مجاوزة ابنتي الرجل الصالح لقدر الضرورة في الاختلاط والعمل ، ورجوعهما إلى الأصل وهو عملها في البيت عندما وجدتا من يقوم مقامهما .

أما التوصيات فيمكن تلخيصها فيما يأتي :

أولاٍ : تبني الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم ، أو أحد أقسام التفسير وعلوم القرآن بالعالم الإسلامي إجراء دراسات حول النماذج والشخصيات الواردة في القرآن الكريم يركز من خلالها على تحليل الشخصية من جميع جوانبها للوصول إلى بناء الشخصية الإسلامية القرآنية التي أرادها الله ﷻ ، وكيفية تطبيق هذه الصورة في الواقع المعاصر .

ثانياً : ضرورة إعداد دورات ولقاءات مستمرة للنساء المسلمات بمختلف مراحلهن العلمية لتوعيتهن بالقضايا الإسلامية التي تمس حياتهن كالحجاب وعمل المرأة والاختلاط مع الرجال ... ونحوها ، وحكم الإسلام فيها ، والحكم والفوائد والمصالح التي تعود عليهن من وراء طاعتهن لحكم الله ورسوله في هذه القضايا .

ثالثاً : مساعدة الحكومات الإسلامية النساء المضطرات للعمل خارج بيوتهن بتوفير العمل المناسب لهن ، والبيئة الإسلامية المناسبة لأدائهن لهذا العمل من أماكن خاصة بهم في العمل ، ووسائل مواصلات خاصة ، وتنظيم أوقات العمل بما يساعدهن على الجمع بين واجباتهن الأسرية وأعمالهن الخارجية .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ،،،،،

الباحث

ثبت بأهم المراجع

أولاً : كتاب الله العظيم : القرآن الكريم .

ثانياً : أهم المراجع مرتبةً ألف بائياً

١- أحكام القرآن لابن العربي ط. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢- أوضح التفاسير للشيخ / محمد عبد اللطيف بن الخطيب ط: المطبعة المصرية ومكتبتها ط: السادسة ١٣٨٣ هـ

٣- البحر المديد لابن عجيبة الاندلسي .ط . دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠٢ م. ١٤٢٣ هـ

٤- البداية والنهاية للإمام ابن كثير ط. دار هجر بمصر بتحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي .

٥- التحرير والتنوير . الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. ط : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م

٦- تفسير الشعراوي للشيخ / محمد متولي الشعراوي ط. دار أخبار اليوم بالقاهرة ١٩٩١م .

٧- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ، ط . مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع الطبعة : الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م

٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ط . مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

٩- جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري ط / مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

١٠- جامع الرسائل رسالة في قصة شعيب- للإمام ابن تيمية ط. دار العطاء – الرياض . ط. أولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

١١- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي. ط. دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م

١٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ط . دار هجر بمصر ط . أولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة الألوسي ط. دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ .

١٤- زهرة التفاسير للشيخ / محمد أبو زهرة ط . دار الفكر العربي بالقاهرة بدون تاريخ .

١٥- السبعة في القراءات لابن مجاهد ط. دار المعارف – القاهرة الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ

١٦- فتح البيان في مقاصد القرآن صديق حسن خان ط. المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بَيروت : ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

١٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني ط/ دار الفكر بيروت د . ت ..

١٨- في ظلال القرآن أ/ سيد قطب ط/ دار الشروق ط / الحادية عشرة ١٩٨٥م .

١٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ط. مكتبة العبيكان بالرياض، ط. أولى ١٤١٨هـ

٢٠- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ط . دار الفكر - بيروت / لبنان - ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م .

٢١- اللباب في علوم الكتاب ط. دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة : الأولى - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م

٢٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الاندلسي ط. دار الكتب العلمية لبنان ط. أولى ١٤١٣هـ.
٢٣- معالم التنزيل للإمام البغوي ط دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض ١٤١١هـ .
٢٤- معاني القرآن وإعرابه للزجاج ط. عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ بتحقيق د/ عبد الجليل شلبي
٢٥- مفاتيح الغيب للإمام الرازي ط . دار إحياء التراث العربى بدون تاريخ .
٢٦- مفردات غريب القرآن للأصفهاني ط. دار المعرفة لبنان .
٢٧- منهاج السنة النبوية للإمام ابن تيمية تحقيق د/ محمد رشاد سالم . ط/ مؤسسة قرطبة ، الطبعة لأولى
٢٨- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي . ط . دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة . بدون تاريخ .
٢٩- الوسيط لشيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي ط. مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة .

الفهرس